الواقع العربي في وجدان الشاعر السعودي
(دراسة موضوعاتية)

د٠ محمد بن سليمان القسومي (*)

المقدمة :

الحمد لله، معلي قدر من عَلِم وآمن، ورافعه درجات فوق من جهل وضل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القضايا العربية وما صاحبها من أحداث، من أهم الموضوعات التي شغلت أذهان الشعراء في المملكة العربية السعودية، فقد شهدوا صراع الإنسان العربي مع الاستعمار، وصوروا آلام الأمة وآمالها، وشاركوا شعراء العربية في تشكيل وعي المجتمعات العربية.

ويأتي هذا البحث – الذي يتناول جهود الشعراء السعوديين في هذه السبيل– في ثلاثة مباحث، أظهر الأول منها موضوعات الواقع العربي التي تفشت في دواوين الشعراء، وجاء المبحث الثاني للحديث عن سياقات الشعر المتلون بعواطف الشعراء الذين عاش أغلبهم مراحل العدوان على البلاد العربية، وثورات التحرر، ومآسي الشتات، وفرح الانتصار، أما المبحث الثالث فتكلم على المعجم الشعري المعبر عن الواقع العربي، كاشفاً عن اللغة المسيطرة التي عبر من خلالها الشعراء عن أحوال النفوس الطامحة إلى الحرية والنهوض، المتطلعة إلى التخلص من شعور الخيبة والهزيمة النفسية.

تناولت ذلك من خلال المنهج الموضوعاتي الذي يقضي بحصر الموضوعات والأفكار الأكثر تردداً في دواوين الشعراء، ثم تصنيفها ودراستها، كما يقضي بالنظر في المعجم المسيطر على لغة الشعر.

أسأل الله أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، إنه – جلّت قدرته – الهادي إلى سواء السبيل.

(*) كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

المبحث الأول

موضوعات الواقع العربي

حينما ننظر في دواوين الشعراء في المملكة العربية السعودية، نجد عنايتهم بالقضايا العربية، وخاصة قضية فلسطين التي أخذت حيزاً كبيراً في دواوينهم، تلاها كفاح الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي.

وظلت مشاعرهم مع كل حدث في البلاد العربية، يتفاعلون معه، مفضين بآلامهم وآمالهم، يتناولون الحدث بعاطفة الأخوة، أيًّا كان مكانه، في مصر، أو العراق، أو لبنان، أو سوريا، أو الكويت، أو أيّ بقعة في الأرض العربية.

وسأتناول في هذا المبحث أبرز الموضوعات التي شغلت أذهان الشعراء؛ أعني بذلك أن البحث لا يتسع لكل ما طرقه الشعراء، وحسبي في هذا العمل أن أتناول الموضوعات التي ترددت في جل الدواوين، فأصبحت قضية تشغل أذهان الشعراء.

-١-

ظلت قضية فلسطين محور الشعر السياسي في المملكة العربية السعودية؛ فهي القضية التي شغلت أذهان الشعراء، حتى إن بعضهم أفرد لها ديواناً أو أكثر، مثل: حسن القرشي، وزاهر الألمعي، وطاهر زمخشري، وعبدالسلام هاشم حافظ، وأحمد قنديل، وسعد البواردي، وعبدالرحمن العشماوي. وقد أصبحت عند بعضهم أشبه بالنزعة؛ فهي متغلغلة في داخله، تنبض بها مشاعره، حتى إنه في كل موقف يستدعيها؛ فالشاعر غازي القصيبي -مثلًا- في رثاء الملك فيصل، يستحضر موقفه الممثل لموقف المملكة العربية السعودية من القضية، إذ يقول:

مِتَّ والقدسُ في عيونك حُلمٌ وخيـالٌ مُنَضِّـرٌ فَتَّـانُ
مِتَّ والقُدْسُ في دمائك شَوقٌ ليس يَهْدا أَيَهْدَأُ الطُّوفانُ[1]

بل إنه لا ينسى القضية الفلسطينية وهو في مناسبة احتفالية لمرور ربع قرن على إنشاء جامعة الملك سعود:

بِنْتَ الرياضِ طَوَيْتُ الدَّهْرَ عاصِفةً من التَّجارِبِ أَشْواكاً وأَشْذاءَ
فما رأيتُ كَمَوتِ العِزِّ فاجِعةً ولا رَأَيتُ كَعِزِّ البَغْيِ ضَرّاءَ
غَضِبْتُ حين رأيتُ العِرْضَ مُغْتَصَبًا والتُّربَ مُسْتَلَبًا والقُدْسَ أشلاءَ (٢)

وفلسطين في وجدان الشعراء أنّى ارتحلوا؛ فالشاعر أحمد بهكلي، كان في رحلة سياحية في أمريكا، وقد ذكر في مقدمة قصيدته (رؤى في نيويورك) أنه كتبها بعد جولة جماعية عام ١٤٠٤هـ:

لحظةً لحظتينِ يَخْطِفُني صَوْ تُ الدَّليلِ المُدلِّ يا صَحْبُ عُودوا
تلك (يُوْ إنْ) هنا وحدَّقْتُ حولي وترقَّبتُ ما عَسَاهُ يَزيدُ
قالَ في ذا الأَشَمِّ تُخْتَصَرُ الأَرْ ضُ هنا للسَّلامِ تُبْنى الجُهودُ
فَتَمَلْمَلْتُ كاللَّديغِ وجاشَتْ في ضُلُوعِيْ مَهامِهٌ ونُجُودُ
وتذكّرتُ دَيْرَ ياسِينَ لا ما ءَ يُرَوِّي ولا تَزُولُ السُّدودُ (٣)

والشاعر زاهر الألمعي وهو يكتب قصيدته (تحية وفود المهرجان)، وهي تحية لرواد العلم والفكر والأدب الذين قدموا لحضور (مهرجان الجنادرية) الذي يعقد كل عام في مدينة الرياض؛ لم ينس تذكيرهم بقضية العرب والمسلمين الكبرى (القضية الفلسطينية):

فعلام تُحْتَضَرُ المبادِئُ بيننا وتَخُورُ منّا هامَةُ المَجدِ العَصِيَّهْ
ما قادَنا للقُدْسِ إقدامٌ و لا هَزَّتْ مشاعرَ عِزَّتنا حَمِيَّه
لولا شموخُ المجدِ فى قاداتِنا نَدَّتْ بنا لليأْس أَبعادٌ شَقِيَّهْ
لكنَّ فى وطنى بُيُوتُ العَزْم إنْ حَلَّتْ بأوطانٍ خُطُوبٌ أو رَزِيَّهْ
سَنَخُوضُ في القُدْسِ الأَعَزِّ ملاحِماً تأتي على الباغِي بداهيةٍ دَهِيَّهْ
فاسْتَنْهضُوا هِمَمَ الرجالِ فإنما أنتمْ لنا فى الفِكْرِ ناصِيَةٌ عَلِيَّهْ(٤)

وهذا الشاعر حسن القرشي في قصيدته (فارسي الصغير) التي خاطب بها ابنه عبدالله، تتغلغل في أفكاره القضية الكبرى التي لم يتخلَّ عنها شاعر سعودي في مختلف الظروف؛ فهو في بداية القصيدة يناجي ابنه مناجاة رقيقة:

يا فارسِي الصغيرْ
أكاد – لو علمتَ – أن أطيرْ
أودُّ أن ألقاكَ رُقْيَـةً لـمُستجيرْ
لأَحضِنَ الهواءَ حين تنفُثُ العبيرْ
من فَمِكَ الصَّغيرْ (٥)

ولكنه لا ينقطع عن التفكير في مستقبل القضية، إذ قادته نزعته الوطنية إلى التفكير في المستقبل، وزرع القضية في قلب الطفل؛ لينشأ وهو في تفكير دائم في السبيل إلى أخذ الحق واسترداد الأرض:

يا فارِسِي الصَّغيرْ
في ثوبِك الفدائيّ البشيرْ
شمسُ غدٍ تُفَجّرُ الصُّخورْ
وأنت واثبٌ هنا هناك تزرع الـهديرْ
تَصيحُ لن يَظَلَّ في بلادِنا الصَّهاينـهْ
لا لن يعيشوا في الظِّلالِ الآمنـهْ
وتـُطلِقُ الرصاصَ صارخًا
وتنفُخُ البوقَ وتطلُبُ النفيرْ !
يا فارسي الصغيرْ
يا جيلَ تحريرِ الضميرِ والشعورْ
...
كن صرخةً تَصْعَقُ صهيونَ الحقيرْ

وموجةً تَجرِفُ مأساةَ الدهورْ

يا فارسِي الصغيرْ[٦]

وقد واكب شعراء المملكة العربية السعودية هذه القضية قبل النكبة الأولى عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، وتابعوا تصوير الأحداث المتوالية، "ولم يكن الحديث عن نكبة عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م وما بعدها كثيراً أو متنوعاً، إذا قورن بشعر نكبة عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م؛ لأسباب كثيرة، منها أن النكبة الأولى لم تكن في عنفها وتدميرها كالثانية، ولأن الثانية جاءت إخفاقًا بعد ترقب للنصر الموعود، ولأن الشعر لم يكثر في البلاد، ولم ينتشر شعراؤه إبان النكبة الأولى، وكان كثير من أصحابه آنذاك محافظين، لا يصورون إحساسات الأمة، بقدر ما يصورون تكسبهم الشعري"[٧].

وحين يتحدثون عن القدس، يتناولونها بوصفها مسرى النبي الكريم، يقول الشاعر أحمد الصالح:

لن يموت الثأر ..

يا مسرى محمد ..

لا .. فأرضي لم يزل فيها

مشرد ..

عائد .. يا مقدسي

والعود أحمد [٨]

وإذا ألمّ بالمسجد الأقصى خطبٌ، تداعى له الحرمان بالألم والشكوى، يقول الشاعر حسين فطاني في قصيدته(لم يكن في المسجد الأقصى الحريق):

لم يَكُنْ في المسجِدِ الأَقْصى الحَريقْ في حِمَى الإسلامِ في البيتِ العتيقْ

في مُصلّى المُصــطفى في دارِهِ في قُلوبٍ أَسلَمَتْ شَـبَّ الحَرِيقْ[٩]

ومن ذلك قول عبدالسلام هاشم حافظ في قصيدته (قدس القداسات: في أسبوع حريق المسجد الأقصى):

يا قُدْسُ طيبةُ والبيتُ الحرامُ عَلا صوتاهما يسألانِ الربَّ تَحْنانا
ويَبكيانِ القداساتِ التي هُدرت في أرضِ عيسى وأَمْسَتْ من مَنايانا (١٠)

وما انفك الشعراء في أثناء حديثهم عن القدس، يشيرون إلى مكة والمدينة، وبخاصة المسجد الحرام والحديث عن مسرى نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– منه إلى الأقصى، يقول الشاعر حسين عرب:

القُدْسُ يا مسرى النبيْ ي ِومَنارَةَ الحقِّ الأَبي
يا أُختَ مكةَ والمديْ نَةِ في التُراثِ الطيِّبِ
هَتَفَ الجِهادُ بنا إليْ كِ فَجاهدي وتَرَقَّبي(١١)

ويعبر عبدالرحمن العشماوي في قصيدته (يا قدس) عن وعي الشعراء وكل من يعيش على أرض المملكة العربية السعودية بالعمق التاريخي الذي يربط البلدين، وقد جاء في مقدمة هذه القصيدة قوله:"رحلة العطاء من الرياض إلى القدس" ، و"بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى وشائج لا تنقطع"، يقول منها:

للقُدْس عُمْقٌ في مَشاعِرِ أَرضِنا شَهدَتْ بِه الآكامُ والكُثبانُ
هذي الوشائجُ بين مَهْبطِ وَحْيِنا والمسجدِ الأَقْصى هي العُنوانُ
هو قِبلةٌ أولى لأُمَّتِنا التى خُتمتْ بدين نبيِّها الأَديانُ(١٢)

ويؤكد حرص من بذل المال والجهد لخدمة الحرمين الشريفين على بذل المال والجهد والجاه لخدمة ثالث الحرمين وأولى القبلتين:

يا قُدْسُ لا تأسَي ففي أجفانِنا ظِلُّ الحبيبِ وفي القُلوبِ جِنانُ
مَنْ يَخدمُ الحَرمينِ يَأنفُ أن يَرى أَقصاكِ في صَلَفِ اليهودِ يُهانُ (١٣)

ومن ذلك قول ضياء الدين رجب:

فلسطينُ لستِ اليومَ مَرمىً وغايةً تُهدِّدُكِ الأَحداثُ والويلُ يُنْذرُ
ودُونَ حِمى عبدالعزيزِ قَسَاوِرٌ إذا الحربُ عن أَنيابها اليومَ تَكْشِرُ(١٤)

وكان الترابط بين القبلتين منذ أن أسري بالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– في فجر الإسلام، يقول زاهر الألمعي:

أَسْرَى الإلهُ بعبدِهِ من مكةٍ لِلقُدْسِ فانْهَزَمَ الظلامُ وأَدْبرا
لِيَكُونَ بين القبلتينِ تَرابُطٌ مُتَماسِكُ البُنْيانِ مَشْدُودُ العُرا(١٥)

والشعراء – في الأغلب– حين يتحدثون عن القدس، لا يقصدون المدينة فحسب، بل يعدونها رمزاً لفلسطين وما نالها من المآسي على يد اليهود الغاصبين (١٦).

وجاء الشعر في المملكة العربية السعودية معبراً عن اهتمام هذه البلاد المبكر بالقضية الفلسطينية، وما تنبض به قلوب الشعراء من عاطفة الأخوة العربية الإسلامية التي غرسها ساسة هذه البلاد، منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز.

واللحمة التي تجمع أبناء البلدين، حركت مشاعر الشعراء، فأشادوا بالمواقف التي تشهد بذلك، من ذلك ما نجده لدى عبدالرحمن العشماوي في قصيدته (أضواء الحَجَر الفلسطيني) التي نظمها ترحيباً بالجرحى الفلسطينيين الذين قدموا إلى الرياض، بدأها بقوله:

مَرْحباً أَلْفاً بإخوانِ العَقِيدَهْ في روابي دَوْحَةِ الخَيرِ الرَّشِيدَهْ(١٧)

ثم تحدث عن المشاعر تجاه إخوانهم في الدين الإسلامي، ومن هذه القصيدة قوله:

هاهُنا في مَهْبِطِ الوَحْيِ تَلاقَى طارِفٌ يَزهُو وأَمْجادٌ تَلِيدَهْ
هاهُنا مُدَّتْ لَكُمْ كَفُّ مُحِبٍّ رَسَمَتْ في صَفْحَةِ الإكرامِ جُودَهْ
مُدَّتِ الأَيدي إليكُمْ وهْيَ خَجْلى تَبذلُ الوُسْعَ وتَرجو أن تَزِيدَهْ (١٨)

ولم تكن مشاركة المملكة العربية مشاركة معنوية فحسب، بل كانت بالمال والدماء، وقد حرصت على المشاركة في كل محفل دولي، تنفذ من خلاله كلمة الحق تجاه الظلم والعدوان.

ومواقف المملكة العربية السعودية، لا يمكن أن تنسى، ومن المواقف التي دونها التاريخ اتخاذ الملك فيصل النفط سلاحاً ضد مناصري اليهود في حرب رمضان ١٣٩٣هـ، وهو موقف أثبت شجاعته وبعد نظره وتضامنه مع الفلسطينيين، وفي ذلك يقول علي بن حسين الفيفي:

ورأَيْنا فيصلَ الإسْـ ـلامِ تَمْتـــدُّ يَــداهُ
بذَلَ المالَ ونادى والدُّنا تَخشى نَداهُ
مَنَعَ البِترولَ عَمَّنْ نصروا جَهراً عِداهُ
فانحنتْ هاماتُ أَقْوامٍ ولم يَخْلعْ رِداهُ (١٩)

ويؤكد زاهر الألمعي ما بذله الملك فيصل من جهد ومال في سبيل الوقوف أمام داعمي اليهود، إذ يقول مخاطباً الملك فيصل بن عبدالعزيز:

وتاقَتْ فلسطينُ إليكَ تَطَلُّعاً لِتُزْجيَ في ساحاتِها جَحْفَلاً لَجْبا
مَددتَ يداً بالمالِ كالغَيثِ هاطِلاً وأَمددتَ جُنْدَ اللهِ فاسْتَبْسَلوا حَرْبا
فَكَفٌّ به الصَّارُوخُ يَهْدُرُ في الوَغَى وكَفٌّ على البِتْرَولِ هَزَّ بهِ الغَرْبا
ترامَتْ إليكَ الرُّسْلُ من كُلِّ دَولةٍ لِترفَعَ عن أعناقِها ضَربةً نَكْبا(٢٠)

ومن يقرأ ديوان الشعر السعودي، يلحظ مشاعر الأخوة مبثوثة في دواوين الشعراء، يتحدثون عن فلسطين وكأنهم من أبنائها الذين ولدوا وترعرعوا على أرضها، يقول محمود عارف:

شعبُ الجزيرةِ ليس عنكُمْ غافِلاً سَتَرَونَ منهُ خِطةَ المُتَدَبِّرِ
إنَّ العَرِينَ عَرِينُ شَعْبٍ باسِلٍ يمشي إلى العلياءِ خلفَ غَضَنْفَرِ
مِنْ كُلِّ مُفْتُولِ السَّواعِدِ بالرُّوحِ مَوطِنَهُ ونِعْمَ المُشْتَرِي
يَحمِي حِمَى البيتِ المُقَدَّسِ فادِياً ويَذُودُ عنهُ في ضَراوَةِ قَسْوَرِ(٢١)

ويقول عبدالله بن خميس:

سَلِمت يدا شَعْبِ الجَزيرةِ إنَّهُ أَوْلى العُروبَةِ بالتَّجِلّةِ والرِّضا
لمّا أَهابَ بسوحِهِ صوتُ أَعْطَى وجاهَدَ واستجابَ وأَقْرَضا
قـامتْ طلائِعُهُ تَجُوبُ رِحابَهُ مُسْتَنْفِراً ما شِئتَ أو مُسْتَنْهِضا
فتَجاوَبَتْ زأراتُـهُ مُسْتأْسِداً وتَدفَّقَتْ نَفَحاتُهُ مُتَعَرِّضا(٢٢)

وحين يتكلم الشعراء على مقاومة الفلسطينيين لغاصبي الأرض العربية، يشيدون بالفدائيين ومواقفهم البطولية، حتى إن الشاعر حسن القرشي قد أهدى ديوانه (فلسطين وكبرياء الجرح) إلى الفدائي، قائلاً: "إلى الفدائي العربي الذي سحق العار، وصنع من الجرح المقدس وسام بطولة حمراء !" (٢٣).

ويقول في قصيدته (فدائيون):

كَمْ يَقْتَنِي المجدَ فِدائيُّنا غير حَمِيْدِ الذكرِ لا يَقْتَنِي(٢٤)

ويتحدث محمد السنوسي على لسان فدائي في قصيدته (حديث فدائي)، مبرزاً شموخه، إذ يقول:

أَأَنْتَ تقولُ إنَّ يَديْ قَصيهْ وإنَّ عَشيرَتي بِئْسَ العَشيرهْ
كذَبْـتَ فـإنَّـنِـي وأنـا الفِـدائي سَلِيلُ أبي عُبيدةَ والمُغِيرهْ
جَـعَلتُكَ يابنَ إسرائيلَ رُعْـبـاً تَعِيشُ مِنَ المَخاوفِ في جَزِيرهْ
شَنَنْتُ عليكَ نارَ الحربِ حتّى سَلبتُكَ نِعْمَةَ العَيْشِ القَرِيرهْ(٢٥)

وقلَّ أن يأتي حديث عن مقاومة الظلم الذي حلَّ بفلسطين وأهلها، دون ذكر الفدائي وشجاعته وإيثاره:

الفِـدائيُّ فَـتىً قَدْ رابَـهُ أن يرى الذُّلَّ ويرضى الضَّجَرا
أَنكرَ العَـيْشَ هَـوانـاً وهَوىً وقَذىً يَدْفَعُهُ أن يُنكِرا
أَسَدٌ ما عرفَ الزادَ سوى رَمَقٍ والماءَ إلا عَكِرا
وإذا جالَ فَرَى في خَصْمِهِ مُسْتهيناً مثلما السَّبْعُ فَرَى
بَذَلَ النَّفْسَ فِداءً ورِضا وقَضَى العُمْرَ وأَقْصَى السَّفَرا(٢٦)

وظل أغلب الحديث عن الفدائيين في دائرة الشجاعة وبذل النفس؛ مقتاً للهوان، وردعاً للظلم وأهله، فهم كما يقول عبدالسلام هاشم حافظ:

قلوبُهُمْ بينَ أيديهِمْ مُزَغْرِدةً للموتِ يَفْدُونَ بالأَرواحِ قُربانا[٢٧]

ويقول من قصيدة أخرى، عنوانها (سنموت وقوفاً):

فِدائيونَ نحنُ الشَّعْـ ـبُ آمَنّا بأن النَّصْرَ في البَذْلِ
نَعيشُ العمرَ كُلَّ العُمْـ ـرِ بالإصرار تحريراً من الغُلِّ
فلا يَهْنا لنا بالٌ ولا يَغْفو لنا جَفْنٌ على ذُلِّ
نَخُوضُ الحربَ إيماناً بأنَّ الموتَ دربٌ زاهرٌ يُعلي
بأنّا سوف نحيا أو وُقُوفاً نَنْتَهِي بالعِزِّ والفَضْلِ[٢٨]

وأخذ الشعراء يهنئون الفدائي؛ لما يتمتع به من نفس أبية، لا تطمع في عرض دنيوي، بل تمضي متسلحة بإيمان قوي بربها، يقول عبدالله الفيصل في قصيدته (قل للفدائيين):

قُلْ للفِدائيِّ هَنيئاً مَعارِكٌ تَنْطَقُ فيها الحِرَابْ
يَمْضِي إلى الحربِ عَزيزَ الخُطا لا مَطْمَعٌ يَحْفِزُهُ لِلسِّلابْ
وإنّما تَحْدُوه سُقْيا العِدا كأساً جَرَعْنا منهُ مُرَّ العذابْ
لا يَرْهَبُ الموتَ ولا يَنْثَنِيْ عن عَزْمِهِ شأْنَ الشُّجاع المُهابْ
سِلاحُهُ الإيمانُ فى ربِّهِ وهمَّةٌ عاليَةٌ كالشِّهابْ
يَدْفَعُ عن مَوطِنِهِ طاغِياً مِيْزَتُهُ في الحربِ غَدْرُ الذِّئابْ
طابَ الفِدا هذا الجِهادُ الذي نَبْنِي به فَوقَ المَعالي قِبابْ [٢٩]

ويرون أن عشقه للكفاح، وإخلاصه في الدفاع عن أرضه من أهم مصادر قوته، وأنه بذلك سيكتب فجراً جديداً، يبعث الأمل ويعيد الفرح، يقول أحمد الصالح في قصيدته (الفدائي):

يا للفدائي !
الذي عشق الكفاح ..

عزف الخلود .. قصيدة ..
بفم السلاح ..
سيعود .. (بعد النصر)
ممدود الجناح ..
مع الصباح ..
أن يكتب الفجر الجديد ..
بألف راح ..
ويخط ملحمة الجهاد ! (٣٠)

وقد واكب الشعراء في المملكة العربية السعودية الانتفاضة الأولى والأخرى، وتحدثوا عن الحجر الفلسطيني الذي كان سلاحاً فتّاكاً في جسم العدو، مشيدين بجيل الحجارة من الأطفال الأبطال الذين انتفضوا في وجه العدو الغاصب، المدجج بأحدث الآلات العسكرية، يدافعون عن أرضهم، سلاحهم الحجر، ووقودهم الإيمان بأن الله لن يخذلهم، يقول عبدالله بن إدريس في مقدمة قصيدته (الحجر والصامتون): " هل رأيتم أو سمعتم عن حجر يغلب رشاشاً؟ أحجار فلسطين ليست مثل بقية أحجار الأرض، الحجر الفلسطيني كائن حي؛ يحس وينفعل ويقاوم، إنه أقوى حياة وأشجع روحاً من بعض البشر، وبعض العرب، وهو يأبى أن يطأ اليهود عليه، فيتطاير عليهم، حتى إنهم ليخيل إليهم أن الحجر الواحد عندما تقذفه يد المسلم مئة حجر، والمئة ألفا" (٣١).

لقد نطق الحجر بالثورة وقوة الإيمان بالله:

نورٌ من الصَّخرةِ الشَّمّاء طافَ بها يُعطي الحجارةَ ضَوْءاً يَنطقُ الحجرُ
ما هَمُّهُ آلةً للحربِ إن نَشِطَتْ إذا الفَتَى بهُدَى الإيمانِ يَأتزِرُ(٣٢)

ودأب الشعراء على الترحيب بهذه البطولة الفريدة لهؤلاء الصغار العُزَّل وهم يواجهون الموت، يقول عبدالرحمن العُبَيِّد في قصيدته (جيل الحجارة):

مَرْحى لأعْزَلَ يَلْقَى الموتَ مُبْتَسماً وحَولَه البَغْيُ بالإرهابِ يَفْتَخِرُ

مَرحى لِوثْبَةِ شَعْبٍ في انْتِفاضَتِهِ يَروِيْ ويَنْشُرُ للأجيالِ ما سَتَروا[٣٣]

وهذا الأعزل الذي يواجه بأحجاره جنود العدو الغاصب، المدججين بالسلاح:

طِفْلٌ صَغيرٌ غيرَ أنَّ شُمُوخَهُ أَوحى إليَّ بأَنَّهُ لا يَهْرَمُ

طِفْلٌ صَغيرٌ والمدافِعُ حَولَهُ مَبْهُورةٌ والغاصبونَ تبَرَّموا

في كفِّهِ حَجَرٌ وتحتَ حِذائِهِ حَجَرٌ ووجهُ عدُوِّهِ مُتَوَرِّمُ[٣٤]

هؤلاء الصغار أعماراً، الكبار في شجاعتهم وتضحيتهم، عُدتهم للحرب وأسلحتُهم في كفوفهم، يقول أحمد سالم با عطب:

قالَ الصِّغارُ أكُفُّنا فيها لنا عُدَدٌ تُحَقِّقُ في المسيرة ما نُرِيدُ[٣٥]

وهذا ما أثار الشعراء، فصاروا يكتبون من قلوب مُلئت إعجاباً، وأصبحوا يستدعون هذه البطولة في قصائد لم تنظم للحديث عنها، فزاهر الألمعي يختم قصيدته (الشرارة) التي نظمها في مديح الشاعر أحمد فرح عقيلان بهذه التحية:

سَلاماً مِنْ قُلوبٍ مُفْعَماتٍ إلى أَبْطالِ مَعركةِ الحجَارهْ[٣٦]

وتناول الشعراء أثر الحجارة في الأعداء، وكيف كانت تنذر بشرر، وتدمي قلوبهم، يقول عبدالرحمن العُبيِّد، مخاطباً جيل الحجارة:

عَزَّ السِّلاحُ فخُضْتَ اليومَ مَلْحَمَةً تُدْمِي الذين زَجرناهُمْ فما ازْدَجَرُوا

ثم يقول:

جِيْلُ الجهادِ أتاهُمْ في حجارتِهِ أَكْرِمْ بِهِ الجيلُ بالإيمانِ يَزدَهِرُ

ترتاعُ منه الأعادي حينَ يُضْرِمُهُ فالنارُ مِنْ شَرَرٍ تَنْمُو وتَسْتَعِرُ[٣٧]

وكرر الشعراء وصف الحجارة بالنار وحقلها الدلالي، يقول عبدالرحمن العشماوي في قصيدته (يا فارس الحجر الأشم):

وتَمُورُ في يَدَيْكَ الحَصَى فكأنَّها فكأنا لَهَبٌ إذا أَلقَيْتَها يَتَسعَّرُ[٣٨]

ويقول زاهر الألمعي:

تَخِذُوا الحجارةَ في المعارِكِ مِدْفعاً يَرْمُونهـــا كالـــشُّهْبِ جمـــراً مُوقَـــدا[٣٩]

وقد ذُهل الشعراء فيما يفعله الحجر من غلبة لأسلحة العدو، وهذا عبدالله سالم الحميد يذيع ذهوله وإعجابه بلهيب الحجارة الذي بات يزلزل جيش العدو، فيقول في قصيدته (الحجارة وسام الشهادة وسام الفرح):

علَّمُونا كيف يَغْلِي الحَجَرُ الناريُّ من سُمْرِ السَّواعِدْ
كيف يجتاحُ البنادقْ
كيف يمضي دون غمدٍ ويسابقْ
كيف يصطادُ المتاريسَ .. يُعاندْ
كيف يَفري صَلَفَ البَغْيِ ويَرْقَى
في ذُرا حَيفا وعكّا
وانتفاضاتِ براكينِ الجليلْ
ورُبا القُدسِ وغَزَّه [٤٠]

تلك السواعد كانت مؤمنة بنصر الله؛ لأنها تدافع عن الحق، عن الأرض، عن الدار، عن العرض، فمضت بقلوب لاتهاب؛ فباتت أمضى من الشهب على الأعداء:

مالي عَلَيْهم إن غاروا سوى حَجَرٍ لكـــنَّه مـــن يَـــدي أَمْـــضَى مـــن الـــشُّهُبِ [٤١]

وكان للحجر وقع في ساحات القتال؛ إذ أصيب جنود الاحتلال بحالات نفسية، وسادت حالة من الذعر في صفوفهم، وانتشرت ظاهرة الخوف من الخدمة العسكرية [٤٢].

ومن الأفكار التي ترددت في قصائد الشعراء في أثناء حديثهم عن القضية الفلسطينية هجاء اليهود الذين دنسوا الأقصى، وقتلوا الأبرياء، وأفسدوا في البلاد، يقول يوسف أبو سعد:

عَبَثَ الوُغْدُ بالقَداســـاتِ جَوْرًا واستَباحـوا مَرابِعَ الأَمْجـــادِ
شَرَّدوا الشِّيبَ والنِّســاءَ الثَّكالى وأَذلُّـــوا كرامـــةَ الأَولادِ

واستَبـاحوا دِمـاءَ كُلِّ أَبـيٍّ أَعْـزَلٍ كَـبَّلوهُ في الأَصْفـادِ
دنَّسوا المسجدَ الشَّرِيفَ وعاثُوا في حِـمانا وأَوغَـلُـوا فـي الفَسادِ(٤٣)

وتدنيس الأقصى، تناوله أكثر من شاعر، يقول زاهر الألمعي:

دنَّسُوا الأقصى وما صانوا لـهُ حُرمةَ الماضـي وحَقَّ القُـرَبِ(٤٤)

ونادوا بتطهيره من شرورهم، يقول حسين عرب:

وَلْتَشْهَـدوا زَحْـفَ الجحـا فِـلِ في الشِّـمالِ وفي اليَمِينْ
لِتُطَهِّـرَ الحـرَمَ المُـقَدْ دَسَ مـن شُـرُورِ الآثمِيـنْ(٤٥)

وأكثر الشعراء من ترديد صفة الغدر، وعدم الوفاء بالوعد التي كانت ملازمة لليهود، وساءهم ما مارسوه من الظلم للشعب الفلسطيني، وما اقترفوه من قتلٍ للأبرياء، يقول محمد إبراهيم جدع:

أولئك أَعداءُ الشَّرائعِ مارعـوا حُـقوقـاً ولـم يـُوفوا بـعهدٍ ومَوعـدِ
صَـهاينةٌ قـاموا علـى الإفـكِ والأذَى وقَـتْلِ حُـماةِ الحـقِّ جُنْـدِ محمّـدِ (٤٦)

كما يقول من قصيدته (صوت الحق):

الغَـدْرُ طـبعُهُمُ والخُـبْثُ دِينُهُـمُ والفَتْـكُ مَطلَبُهُـمْ والـشَّرُّ هَـزَّامُ (٤٧)

ويقول حسين عرب عن غدرهم:

أَبْرَمَـتْ صهْيـونُ ليـلاً أَمْرَهـا واستباحتْنـا صـباحـاً أَغْـبرا
ودَهَتْنـا عُـصْبـةٌ غـادِرةٌ غـابَ عنهـا وعْيُنـا فانْغَـدَرا (٤٨)

ومن الشعراء من عنّنَ قصيدته بهذه الصفة الملازمة لليهود، كزاهر الألمعي في قصيدته (عصبة الغدر)، التي يقول منها:

عُـصْبَةُ الـغَدْرِ لن تَرُومَ سَلاما وستبقى كالسُّـمِّ في الأَجسـادِ
لن يكونوا في حَلْبةِ الصُّلحِ إلا خُدْعَةً من حَبائـلِ المُصْطـادِ(٤٩)

وكرر هذه الصفة في تناوله لقضية فلسطين، يقول في قصيدته (جيل الانتفاضة):

فـذاكَ المـسجدُ الأقـصى أَسـيرٌ وقـد كُنْتُـمْ لـه سُـوراً مُهـابـا

فعـــاثَ بـــه بَنُـــو صهْيـــونَ غَـــــدراً وكـــــم هـــــتكوا الـــــستائرَ والحجـــــابا[٥٠]

ومن ذلك قوله من قصيدته (الجيل الصاعد):

داهَمَتْهُـــــمْ عُـــصْبَـــةٌ غـــــادرةٌ واســـــتباحوا القُـــدْسَ سَـــهلاً وجبـــالا[٥١]

والوفاء بالعهد من أشد صفات العربي منذ العصر الجاهلي؛ من أجل ذلك كان وقع الغدر في نفوسهم كبيراً، وأصبح الشاعر وهو يشد من أزر قومه، يذكرهم بغدر اليهود، يقول حسن القرشي في مطلع قصيدته (لن يضيع الغد):

هـــلْ يـــظُنُّ الغَـــدْرُ أنـــا ســـوفَ نَنْـــسَى لا وربِّي نحنُ أقوى منهُ بَأْسا[٥٢]

وكان هذا الغدر وسيلة لقتل الأبرياء وسفك الدماء، دون رحمة أو رادع من ضمير؛ ألم يكتب التاريخ أنهم قتلة الأنبياء؟ يقول عبدالله سالم الحميد – متهكماً– في قصيدته (عزف على أوتار الخطأ):

في طريق الخطأ ..
نصبوا لي مَجْزَرَه
حولوها مَقْبَرَه
عن طريق الخطأ
شتتونا زُمَرا
أخرجونا في العَرَاء !
في طريق الخطأ
سفكوا الدَّمَّ البـُراء
قتلوا الأنبياء .. [٥٣]

ويقول محمد السنوسي:

كيفَ يُرجَى رُجُوعُ صهْيونَ للحقْـ قِ وتاريخُهُـــمْ يَفِيـــضُ فَـــسادا
قَتلوا الأنبياءَ من قبلُ والأَحْـ بـــارَ والـــصالحينَ والـــزُّهَّادا
وتمـادوا فأَحْـرَقوا المـسجدَ الأَقْـ صـــى عُتُـــوًّا والرُّكَّـــعَ الـــسُّجّـــادا

وأبادُوا الشَّبابَ والشِّيبَ عُدْوا نـــاً وبَغْـــيًا وشَـــــرَّدوا الأَولادا(٥٤)

ومضوا في قتل الأبرياء، غير آبهين بالمنظمات الدولية التي ظلت تندد بأفعالهم، مستنكرة إصرارهم على الإفساد في الأرض الفلسطينية. وقد دون الشعر تجاوزهم، وتنوعت أساليب الشعراء في ذلك، فمنصور مدكور في قصيدته (صوت فلسطين)، يوجه خطابه لرئيس وزرائهم، مستنكراً إجرامه وجور شراذمه في مسرى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

كلُّ الجهاتِ تقولُ قِفْ
أوقِفْ هجومَك واعترفْ
(باراك) الإجرام والسفك الشنيع
أجبْ أجبْ
مَنْ يتَّم الأطفالَ في المسرى أجبْ؟
مَنْ يَقْتُلِ البسماتِ في المسرى أجِبْ؟
هل غير روحِ الظلمِ مُذْ حَلَّتْ
شراذِمُكُمْ تجورْ؟!
فتأتلفْ!
هل غير كفِّ العُنفِ تُهلِكُ من تشاء
ألم تخفْ؟!
هل غير وجهِ الفسقِ ينفي من يشاء
ألم يخفْ؟! (٥٥)

وما يمارسه اليهود في فلسطين من غدر وقتل، هو امتداد لما عرف عنهم عبر التاريخ، فهم جبناء، كتب الله عليهم الذل والهوان، يقول عبدالله بن إدريس:

كانوا الأَذَلَّ على الدُّهُورِ إذا التقوا عنـــدَ النِّـــزالِ وبـــانَ كـــلُّ هَجِـــينِ
لـم يَعْـرِفِ التاريخُ يوماً ظافِراً لِيَهُـــودَ فـــي حـــربٍ وفي تَمْديـــنِ
ما قـاتلوا وجْهاً لـوجهٍ خَلْوةً بـــلْ خَلْـــفَ أستـــارٍ و خَلْـــفَ حُـــصُون

لكِّنـهُـمْ بـعد الـهَوَانِ أصابَنا مـــن فُـــرقَةٍ وتَمَـــزُّقٍ و شُجُـــونِ
صاروا كأربابِ الحروبِ من الوَرَى بَعْـــدَ انْخِـذالِ الفـــارِسِ المَطْعُـــونِ
فالأَحْقَرونَ الأَجْبَنونَ تَشَـــجَّعُوا واستأْسَدَ الخِنزيرُ بالتَّمْرِين[٥٦]

ولتخاذل العرب، وفرقتهم، وتمزقهم الأثر الكبير في جرأة اليهود على خوض الحروب وهم ليسوا أهلاً لها؛ لذلك وجدنا الشعراء يؤكدون في قصائدهم – وهم يشحذون الهمم– صفات الجبن والذلة والهوان، يقول طاهر زمخشري:

ليـــــسَ في الأرضِ للـــــذَّليلِ ديـــــارُ وفلسـطينُ للعُـرُوبَـــةِ دارُ
وقـــرارُ التَّـقْـــسِيمِ أَسْـــــوَدُ داجٍ وجَـــلاءُ اليـهـــودِ عـــنها نَـهَـــارُ
ورِثُـــوا الـــذُّلَّ مِـــنْ قَدِيـــمٍ ومـــازا لَ يُقَفِّـــي خُطـــاهُمُ أيـــن ســـاروا
وعَـلَيْهِـــمْ مِـــنَ الـــصَّغارِ نِـطـــاقٌ وكِفاءُ الذَّليـلِ هذا الصَّغَـارُ[٥٧]

وتعالت صيحات الحزن والألم على ما جرى للاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا [٥٨]؛ فحقد اليهود، شمل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال. ومما زاد آلام الشعراء أن من العرب من أعان العدو ونفذ خططه الغادرة، يقول حمد العسعوس:

لبنـــانُ قـــد فُـــضَّتْ بَكَارَتُهـــــا صُبْحاً ونحنُ نُعاقِـرُ الطَّرَبَـا
وأَرى فِلـــسطينًـــا مُمَـــــدَّدَةً وكِـلابُ بِيْجِـــنَ تَفْعَلُ العَجَبَـا
لا نَـــخْوةٌ طَفَحَـــتْ ولا شَـــرَفٌ يـا أمـةً تتفيّـأُ الكَذِبـا
صبـرا وشـاتيلا دمٌ لَـزِجٌ يَحكِي الخيـانةَ كلما سَرِبـا
وجماجـمُ الأطفـالِ شـاهِدةٌ أن العُروبَةَ تَقْتُلُ العَـرَبا [٥٩]

ومن يقلب الطرف في دواوين الشعراء في المملكة العربية السعودية، يلحظ مشاركتهم الوجدانية لإخوانهم العرب في كل أمر يهمهم، يبتهجون لفرحهم، ويحزنون لما يحل بهم من عوادي الدهر. لقد شاطروا العرب مشاعرهم فيما حل بالأبرياء في صبرا وشاتيلا، يقول محمود عارف في قصيدته (مذبحة شاتيلا وصبرا):

لِمَنِ الضَّحايا في رُبا شاتيلا مِنْ بَعْدِ صَبْرا قُتِّلوا تَقْتِيلا

راحُوا ضَحيةَ غَدرِ شارونَ الذي مَلَأَ المسامِعَ والقلوبَ عَوِيلا
في كُلِّ دارٍ في المُخَيَّمِ طِفْلَةٌ تَبْكِي أباها وصِنْوَها المقْتُولا[٦٠]

لقد وصفوا الفاجعة، ولا نكاد نجد قصيدة تتحدث عنها لم تتألم لما آلت إليه حالة النساء والأطفال، يقول محمد الدبل في قصيدته (شهداء صبرا وشاتيلا):

وا عَزَائي في الأُمَّهـاتِ اللواتي حـولَ أشلائِهِنَّ ضَجَّ الصِّغارُ
صـاحَ في الدارِ غـادرٌ أَجْنَبِيٌّ يُوقِدُ الحِقْـدَ وَسْطَ عَينيهِ نارُ
ضَرَّجَ الكَـفَّ من دماء العَذارَى ودعا الطفلَ أَرْعَبَتْهُ الشِّفارُ[٦١]

وقضية فلسطين هي قضية العرب، فالتلاحم بين أبناء الأمة العربية، جعل مصيرهم واحداً، يقفون يداً واحدة أمام الأعداء [٦٢]؛ من أجل ذلك رأينا الأحداث التي مرت بها القضية الفلسطينية قد ألقت بظلالها على الدول العربية المجاورة، وأهمها مصر.

-٢-

وقف الشعراء في المملكة العربية السعودية كثيراً عند أحداث العدوان الثلاثي على مصر، وتردد في هذه الأثناء اسم مدينة بورسعيد "عندما أصبحت أرضها ومياهها وسماؤها ميداناً لمعركة عنيفة في نوفمبر ١٩٥٦م، معركة طاحنة، شنتها دول العدوان الثلاثي (بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل)، وكان ذلك بعد أن أممت مصر قناة السويس في ٢٦ يوليو من نفس ذلك العام ... ثم ما لبثت أن تعرضت المدينة للدمار في أثناء حرب ١٩٦٧م وحرب الاستنزاف بعدها" [٦٣].

وعنَّنَ بعض الشعراء قصيدته باسم هذه المدينة، فحسين فطاني مهد لقصيدته (بور سعيد الباسلة) بإهداء، يقول فيه:"إلى الأمة العربية في نضالها المجيد، وكفاحها الخالد ضد الاستعمار والظلم، أقدِّم بور سعيد الباسلة في هذه الملحمة؛ رمزاً للبطولة والفداء، وشعاراً للتضحية والجهاد" [٦٤].

وتحدث فطاني عن اعتداء إنجلترا وفرنسا، وعدم مراعاتهما أرواح الأبرياء وشرف الحروب، إذ يقول:

لم تَرْعَيا شَرَفَ الحُروبِ وحَقَّها لم تَـرْعيا شَـيخـاً ولا مَولُـوْدا
صَبَّ العَدوُّ جَحِيمـهُ وحَدِيْدَهُ لكنَّ مِصْـرَ أَشَدُّ منهُ حَـدِيْدا
قَدْ جاءَ يَطْلُبُ في القَناةِ حَياتَهُ فغدَتْ لِجَيْشِ الهابِطِينَ لُحُوْدا[٦٥]

وفي ذلك يقول الشاعر سليمان الشريف:

قُطْرٌ يصارِعُ دولتين أَمَا كَفَى عاراً شَنِيْعاً خالِداً سَيُدَوَّنُ[٦٦]

يؤكد ذلك عبدالله بن إدريس في قصيدته (بور سعيد):

يا أَيُّها المستَعْمِرون أَخِلْتُمو أن الكِنـــانَةَ لُعبـةٌ وقِمـــارُ
جِرْتُم على أَطفالِها ونسائها أَكذا البُطـــولَةُ أَيُّهـــا الأَغْمـارُ
ماذا أفدتُمْ من نَذالَةِ صُنعِكُمْ أو نِلْتُمو بالغَدرِ يا فُجّارُ[٦٧]

ويفصح محمد السنوسي عن أهداف هؤلاء المعتدين، أعداء العرب والمسلمين، إذ يقول في قصيدته (تأميم وتصميم) التي نظمها بمناسبة تأميم قناة السويس:

أَجَلْ إنَّها الحربُ الصَّليبيةُ الأُخرى وإنْ جَعَلوا حوضَ القناةِ لها سِتْرا
ولم تَكُ إسْرائيلُ إلا ذَرِيْعَةً قَد اتَّخَذُوا مِنها لأهدافِهم جِسْرا [٦٨]

وأشاد الشعراء بالمقاومة الباسلة، وبالأبطال الذين وقفوا في وجوه الأعداء:

يا لَثاراتِ يَعرُبٍ في فلسطيـ ـنَ وفي قُدْسِها وفي بُوْرْ سَعِيْدِ
المِظَلَّاتُ قد تَكَفَّـنَ فيها حامِلـوها وبُعثِـروا في الصَّعِيدِ
والأســاطيلُ يَــضْحَكُ البَحْـــرُ منهـــا وهْـيَ تَهوِي إليهِ الجُلْمُودِ[٦٩]

هكذا يفعل الأبطال الذين واجهوا العدو بعدته وعتاده، يقول سليمان الشريف:

إنَّ المَعَارِكَ لا يَخُوضُ غِمارَها إلا كُماةٌ في الحُرُوبِ تَفَنَّنُوا
ما قاذِفاتُ النَّارِ تُوهِنُ عَزْمَنا إن شَنَّتِ الغاراتُ حَرْباً تَطْحَنُ[٧٠]

وظل الشعراء يتغنون بأبطال بور سعيد الذين دافعوا عن مدينتهم "عندما تعرضت للغزو البحري والجوي والبري من جانب الدول المعتدية. وبعد أن احتل الغزاة المدينة، تفنن أهلها في التنكيل بقواتهم، وواصلوا مقاومتهم بالليل والنهار حتى انسحبوا منها مدحورين" [٧١]. يقول حسين فطاني في (بور سعيد الخالدة):

هي رمْزُ كُلِّ مُناضلٍ ومُجاهِدٍ بَلَغَتْ بذاكَ الموضِعَ المحمودا
وقَفَتْ فَهَالَ المعتدونَ نِضالَها فَتَقَلَّدَتْ دُرَرَ الفَخارِ عُقُودا[٧٢]

ويقول محمد السنوسي، يصف القتال، مفتخراً بتلك البطولة التي دونها التاريخ:

وسِرْبٍ من الفُولاذِ لاحَتْ كأنَّها سَحابٌ يُغطِّي الشَّمْسَ والنَّجْم والبَدْرا
تَجَرْجَرُ في الآفاقِ كالبُزْلِ صَوْلةً وتَقْذفُ من أَفْواهِها الشُّهْبَ والغَمْرا
صَبَبْنا عليها النَّارَ صبًّا فأجْفَلَتْ تَهَاوَى ورُحْنا نَحْصُدُ الشِّرْكَ والكُفْرا
بِيَوْمٍ أَقَمْناهُ على الثَّغْرِ نَشْوَةً ببُوْرِ سَعِيْدٍ نَصْنَعُ النُّورَ والفَجْرا
كَتَبْناهُ في تارِيْخِنا بدمائِنا ولَمْ نَتَّخِذْ إلا نَجِيعَ الحَشَا حِبْرا
بأَشْبالِ غابٍ أقْبَلوا في كتائبٍ تُبِيْدُ العِدا قَتْلاً وتَحْشُرُهُمْ أَسْرَى[٧٣]

لقد وقفت بور سعيد برجالها ونسائها في وجوه المعتدين، بقلوب لا يرهبها قصف المدافع وجبروت الطغاة:

فَسَلُوا القَناةَ تُجيبُكُمو أَعماقُها أَنَّ الغُزاةَ بقَعْرِها قَدْ صارُوا
وَسَلُوا مَدِيْنَةَ بُوْرْ سَعِيْد فعِندها ركَعَ الطُّغاةُ لهامِهِمْ وانهاروا
نَهَدَ الأُباةُ رجالُها ونساؤُها لمهابِطِ المستعمِرين وساروا
لم يرهَبوا قصفَ المدافعِ داوياً بل أَقْدَموا ما اسْتَسلَموا أو حاروا
فبنوا لمصرَ على الزمانِ مفاخراً تزهو بها الأَعصارُ والأدهارُ[٧٤]

وهكذا ظل الشعراء يتحدثون عن هذا الصمود بأسلوب مِلؤه الفخر، يقول صالح العثيمين:

لم تَثْنِها الأَهوالُ عِنْدَ فَخَارِها مِنْ بَعْدِ ما عانَتْ وكادَتْ تَزْهَقُ
وضَعَتْ على صدرِ الطُّغاةِ صُروحَها شُمًّا تَنَأْنَأَ فَوقَهُنَّ الرَّونَقُ
شهِدَتْ لها السّاحاتُ كم من وقفةٍ فيها استطالتْ والعدوُّ مُطَوَّقُ[٧٥]

واستبشر شعراء المملكة العربية السعودية بما آلت إليه حرب ١٩٧٣م بين العرب واليهود، بعد الهزائم السابقة، وغنوا للنصر، رافعين الرؤوس، يقول سعد البواردي، مستفتحاً قصيدته (اليوم أرفع رأسي):

حنيت رأسي طويلاً
واليوم أرفعُ رأسي
لقد تحـرّرَ يومي
من كُلِّ أَوزارِ أمسي (٧٦)

ويختم قصيدته، متغنياً بالنصر:

أعطيتُ للخصمِ درسا
ومن نفوسٍ أَبِـيَّهْ
بنيتُ للحرب تُرسا
ومن شغاف نَدِيَّهْ
منحت جرساً وحسا
اليوم أرفعُ رأسي
أُعانِقُ النصرَ شَمْسا (٧٧)

وتغنى الشعراء بتحطيم خط بارليف (٧٨)، الذي كان اليهود يفاخرون به، ويرون أنه سدٌّ منيعٌ، لا يمكن تجاوزه، وأشاد الشعراء بالجيش الذي أذل الأعداء في يوم عيدهم، فهذا أحمد الصالح في قصيدته التي عَنَّنها بـ(قراءة في يوم الغفران)، يشير إلى عيد الغفران (٧٩)، الذي كان يوماً مناسباً لبدء الهجوم، يقول منها:

سقط الغفرانُ في التِّيْهِ
وفي أعينهم قهرٌ وذِلَّهْ
مَدَّ هذا الزَّحفُ
أعلامي
وانهدَّ حِمى بارليف
واندكَّتْ حصونُ البَغْيِ حولَهْ
من ليالي الخيمةِ السوداءِ
شَـبَّ الثَّأرُ عن طوقِ الهزيمهْ

نَـبَتَ النَّصرُ على جُرحِ شهيد

وحُزيرانُ ..

خَبَتْ في قلبهِ الذكرى الأليمهْ (٨٠)

وتفاءل الشعراء بهذا النصر الذي جاء بعد نكسة حزيران عام ٦٧م، وفرحوا بإسقاط أسطورة الجيش الذي ظن أنه لا يُهزم، والخط الذي زُعِمَ أنه لا يمكن تجاوزه، يقول عبدالله العثيمين في قصيدته (رسائل من الجبهة) على لسان جندي في جبهة القتال:

عَبَرَ القَناةَ مُظفَّراً وتَقَدَّمـا جيشٌ تُبارِكُ زَحْفَ مَوكِبِهِ السَّما
أُمّـاهُ لـم تَعُد الحواجزُ مـانِعاً عَـبَرَتْ مَـواكِبُنا الحَواجِزَ بالـدِّما
والخطُّ أين حديثُ مَنْ غنّوا بهِ دهراً على أيدي الأباةِ تَحَطّما
والجَـيشُ أين القائلـون بأَنَّهُ أسطورةٌ كبرى حَنَا واستسلَما (٨١)

وهذا الانتصار أزاح الأحزان، ودوَّن للعرب مجداً، يقول مقبل العيسى في قصيدته (ملحمة في العبور):

يـوم العُبـورِ تَوارتْ فيه أَحزاني فصُغْتُ من وحْيِهِ شِعري وأَلحاني
فالحربُ يومَ عُبورِ الشَّطِّ مَلحمةٌ مـن البطـولاتِ فاقَـتْ كُـلَّ حُـسبـانِ
بطولةٌ في ثَرَى سَـيناءَ ما بَرِحَتْ في خاطِرِ الدَّهرِ أعجـازٌ لأيمانِ
ورايةُ المجدِ في الجولانِ قد صَنَعَتْ للعُرْبِ مجداً ودكَّتْ صرحَ عُدْوانِ (٨٢)

-٣-

وتحدث الشعراء عن الكفاح الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وتناولوا موضوعات عديدة، أكثرها تردداً في نتاجهم عبث المستعمر، وشدة ظلمه، وبأس الجزائريين، ومدى شجاعتهم، ودعوا إلى مساعدتهم، وأشادوا بالجهود التي بذلت في هذه السبيل.

وحينما نجيل الطرف في قصائد الشعراء، نجد وصفاً لآلات الحرب، ودعوة إلى الجهاد ضد المستعمر، وبعض الموضوعات التي قد تتوافر عند بعض الشعراء، لكنني في ظل منهجي الموضوعاتي، أحاول – قدر الإمكان– التركيز على الموضوعة التي ترددت في جل قصائدهم، إن لم تكن في كلها.

فقد دأب الشعراء في حديثهم عن الجزائر على استهجان ما يفعله المستعمر من تخريب في الحرث والنسل، وهذا عبدالله العثيمين في قصيدته (مذكرات جزائري)، يتحدث عن أرضه التي يروي من شذاها قلبه المفعم بحبها، مستاءً من الاستبداد والتخريب الذي يمارسه العدو فوقها:

في حِمَاها
كان يَخْتالُ عَدُوُّ الشَّعبِ تِيهًا
مستَبِدًّا فوقَ أرضِي
يَزرعُ الإرهابَ والتَّخْريبَ فيها
عابِثاً في هَتْكِ عِرْضِي
يَـتَباهى (٨٣)

ويصف عبدالله بن إدريس ما حدث على أرض الجزائر من الفرنسيين القادمين من بلد النور والعلم، فيقول:

فقد نَفَّذَ الأعلاجُ كُلَّ جريمةٍ على أرضِنا أرضِ الأَشاوِسَةِ الغُلْبِ
فهذي فرنسا دولةُ العلمِ والسَّنا بلى دولةُ الطُّغْيانِ والغِشِّ والكِذْبِ
تَرُومُ فَناءً للعُروبةِ طامِساً وكلِّ بني الإسلامِ في الوطنِ الغَرْبي
وقد خَضَّبَتْ أرضَ الجزائرِ بالدِّما وسالتْ كما تجري الشِّعابُ من السُّحْبِ
ودكّتْ بنيْرانِ المَدافعِ مُدْنَها وكَفَّنتِ السُّكّانَ من قَضَضِ التُّرْبِ
وأَيْتَمَتِ الأطفالَ جَوراً وأَرْمَلَتْ أُلُوفَ العَذارى دونَ جُرمٍ ولاذَنْبِ(٨٤)

ظلم، واستبداد، وقتل، لا يفرق بين صغير أو كبير، ذكر أو أنثى:

يافرنسا وأنتِ عُنوانُ وَيْلٍ حَسْبُكِ اليومَ مُوبقاتُ المَخاطِرْ

كم سَقَيْتِ الزُّعافَ شِيْباً وغِيْداً وقَذَفْتِ الأَطفالَ طَيَّ الحَفائرْ[٨٥]

ويعرض محمد السنوسي وحشية العدو المستعمر، ويسمه بأقذع الصفات، في صور تفسيرية، يقول منها:

عِراكٌ كَلَعْلاعِ البَراكينِ جاحِمٌ وحَصْدٌ كمَعْماعِ الحَريقِ يُلابُ
ونَسْفٌ يدُكُّ المُدْنَ شَمّاءَ والقُرى ففي كُلِّ بيتٍ رنَّةٌ ومُصابُ
تَعَرَّتْ فرنسا خِسَّةً وتَجَرَّدتْ عنِ العارِ أَخْلاقٌ لها وثِيابُ
سُعَارٌ وإرهابٌ وغَدْرٌ وخِسَّةٌ ووحشيَّةٌ غابيةٌ وسِبابُ
مَثالِبُ تأْباها الذِّئابُ تَرفُّعاً وتَخْجَلُ من أمْثالِهِنَّ كِلابُ[٨٦]

وتناول الشعراء بأس الجزائريين، وشجاعتهم في الذود عن أرضهم، وامتدحوا إباءهم، وغيرتهم على الأرض والعرض، فقد مضوا في مقاومتهم، جاعلين كل جزء من بلادهم منطلقاً لافتراس العدو:

غَضِبُوا غضْبَةَ الرِّجالِ وقادوا ثَورةً في نِضالِها عَبْقَرِيَّهْ
كُلُّ شِبْرٍ من أرضِهِمْ كُلُّ فِتْرٍ مِنْ ذَراهُمْ مُعَسْكَرٌ أو خَلِيَّهْ
في رؤوسِ الجِبالِ تحتَ رُبا الأَشْ جارِ فوقَ الذُّرا خِلالَ التَّثِيَّهْ
كالأعاصيرِ كالسُّيُولِ اندفاعاً في سبيلِ المَطالِبِ الوَطَنِيَّهْ
أَلْهَبُوها على المُغِيرين ناراً تَتَلظَّى وأَشْعَلُوها حَمِيَّه[٨٧]

وأكثروا من الحديث عن عزيمتهم الصادقة، وقهرهم العدو بنفوسهم التي لاتهاب الموت في سبيل الدفاع عن الوطن، وتنافس الشعراء في وصف شجاعة أبطال المقاومة في الجزائر، وما فعلوه بالعدو المستعمر ، يقول أحمد الغزاوي:

أَرَوهُمْ نُجُومَ الظُّهرِ والنَّقْعُ أَسْودُ وهم بين مَبهورٍ وبين مُجَنْدَلِ
يخافونَ أشْباحَ الرُّؤى في سُباتِهِمْ وأرواحُهمْ مَشدودةٌ بالتَّوهُلِ
وما قلَّ منهم في الصِّراعِ عتادُهُمْ ولكنْ بَغَوا فاستَهدفوا للتَّزَلْزُلِ
وما راعَهُمْ إلا المنايا كأَنَّها قَواصِفُ رَعْدٍ أو حَواصِدُ مِنْجَلِ
بأيدي كُماةٍ من نزارٍ ويعربٍ ومن كلِّ ذي بأْسٍ شديدٍ مُزَمَّلِ
يرونَ الحياةَ الموتَ والموتُ عندهمْ خُلُودٌ ولا يخشونَ غيرَ التَّبَذُّلِ

تَحَدّوا قُوى الطُّغيانِ وهْيَ رَهِيْبَةٌ وأَلْقَوا عليها أيَّ درسٍ مُفَصَّلِ
مِئاتُ أُلوفٍ عَشْـرةٌ بعدَ عَشْرةٍ تَوَلَّت كأرجالِ الجَرادِ المُهَجْوَلِ(٨٨)

ويقول محمود عارف عن وقعها على المستعمر، المستبد:

في دم الحُرِّ ثَورةٌ ذاتُ فَتْكٍ عَرَفَتْها باريسُ بنتُ الدَّواعِرْ
ثَوْرةٌ جَدَّدَتْ شَبابَ المَعَالِي حين شُقت للمستعمرين المَقابرْ(٨٩)

وشبهوا أبطال الجزائر ببعض أبطال الإسلام، وبالأسود والنسور في الفتك بفرائسها:

ودارتْ على أرضِ الجزائرِ ثَورةٌ يَشِيْبُ عليها الدَّهرُ وهْيَ كَعَابُ
كتائبُ فيها خالدٌ وأسامةٌ وسَعْدٌ وفيها خولةٌ ورِبابُ
أيُسْتَعمرُ الشرقيُّ والشَّرقُ كُلُّهُ عرينٌ يُدَوِّي بالأُسُودِ وغابُ(٩٠)

ويقول سعد البواردي:

اليوم تَزأرُ للكِفا حِ الأُسْدُ من مَثْوى عَرِيني(٩١)

ويقول أحمد با عطب:

سائلوا المَجْدَ عن كِرامٍ بُناتِهْ عن مَصابِيْحِ أُفْقِهِ عن حُماتِهْ
الأُباةِ النُّسُورِ مَنْ ألبسوا الأُو راسَ نوراً على ذُرا هضَاتِهْ(٩٢)

وأشاد الشعراء باستجابة المجتمع في المملكة العربية السعودية لنداء الملك سعود، وحثه على دعم الثورة الجزائرية التي قامت لرد ظلم المستعمر .

وقد اعتادت المملكة العربية السعودية منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز على مساندة القضايا العربية والإسلامية، ودعمها ماديًّا ومعنويًّا. وفي عهد الملك سعود (أوج الثورة الجزائرية)، جعلت الحكومة اليوم الخامس عشر من شعبان عام ١٣٧٧هـ يوماً للجزائر، تجمع فيه التبرعات، افتتحه الملك سعود بمليون ريال، تبعه تبرع حكومة جلالة الملك، ثم تتابع القطر من أبناء المملكة العربية السعودية (٩٣).

وقد تكلم الشعراء كثيراً على مبادرة الملك سعود، إذ لا تكاد تخلو قصيدة من الإشارة إليها، يقول محمد العقيلي في قصيدته (يوم الجزائر في جازان) التي كان لمديح الملك سعود فيها النصيب الأوفى:

يومُ الجزائرِ مَشْهودٌ بما زخَرَتْ بهِ أَياديكَ قد باهَـتْ بهِ الحِقَبُ
دعَوْتَ للبَذْلِ شَعباً ثم كُنْتَ لهُ خيرَ المثالِ بما يُرجَى وما يَجِبُ
أجابَ لبَّيْكَ عن حُبٍّ وعن ثِقَةٍ فكُلُّنا لثوابِ اللهِ مُحْتَسِـبُ[٩٤]

ويقول محمد السنوسي في قصيدته (بطولة الجزائر):

أهـاب بأبناء الجزيرةِ صـقرُها سعـودٌ فلبَّوْهُ فِـدىً وأجـابُوا
وكانَ لنا يومٌ على الدَّهرِ خالِدٌ من الجودِ عُنوانٌ له وكِتابُ[٩٥]

ودعا الشعراء إلى الاقتداء بالملك سعود وحكومته في سبيل الدعم المادي لأبطال الجزائر، يقول أحمد الغزاوي:

أيُّها الشعبُ من بني الضَّادِ طُرًّا وحُماةِ الحِمَى وخَيرِ العشائرْ
ها هُوَ العاهِلُ العَظيمُ سُعُودٌ مَطْلَعُ اليُمْنِ وازدِهاءُ المنابرْ
وبنـــوهُ وآلُــهُ وذَوُوهُ والكُماةُ الأساةُ من كلِّ كابرْ
أُسْوةٌ في النَّدَى وفي كُلِّ برٍّ وسخاءٍ وقُدْوَةٌ في المفــاخرْ
فاقْتَفُوا إثْرَهُ فُرادَى ومَثْنَى وابْذلُوا المُسْتَطاعَ يومَ الجَزائرْ[٩٦]

وتتابعت أفعال الأمر في قصائد الشعراء في ذلك اليوم الذي جعلته حكومة المملكة العربية السعودية لجمع التبرعات للجزائريين، وعنَّنَ الشعراء قصائدهم بـ(يوم الجزائر)، ومن ذلك قصيدة سعد البواردي (يوم الجزائر) التي جاء بعد عنوانها:" أعددت هذه القصيدة بمناسبة يوم الجزائر الذي خصص لجمع التبرعات من الشعب السعودي عام ٧٧هـ". يقول في المقطع الأول منها:

ليومِ الجزائرِ جُدْ يا أخي بما في يديكْ
ودعِّم بمالِك آمالَ شعبٍ يضِجُّ لديكْ
وبادرْ بعونِكَ فالعونُ كالعَهْدِ دَيْنٌ عليكْ
ليومِ الجزائرِ جُد يا أخي [٩٧]

وتنافس الشعراء في هذا اليوم في حث المجتمع على البذل في سبيل رد عدوان المستعمر، ودعم الجزائريين في ثورتهم ضد الظلم والاستبداد، يقول محمود عارف في قصيدته (يوم الجزائر):

أَسْهِموا وابـعثُوا بـكُـلِّ نَـفِيسٍ وعـزيــزٍ مــن المَبَرّاتِ وافـرْ
واجْعَلُوا فِدْيَةَ الضَّحايا عَـطاءً عن سَخَاءٍ لوقفِ هذي المَجازِرْ[٩٨]

ثم يقول:

بارِكَ اللهُ فـي نَـــوالٍ كَريــمٍ نَـقْتَدِي فيهِ بالمليكِ الـمُؤازِرْ
ورَعى المَوطِنَ السُّعوديَّ يُعْطي عن سخاءٍ على أساسِ التَّضافُرْ[٩٩]

وقَلَّ أن يتحدث شاعر في الوطن العربي عن كفاح الجزائر دون الإشارة إلى المناضلة جميلة بوحيرد [١٠٠]، و" استطاع الشاعر المعاصر أن يجعل من شخصية جميلة بوحيرد شخصية أسطورية ... فنحن نعرف أن معظم شعرائنا المعاصرين قد انفعلوا بهذه الشخصية، وكتبوا عنها، حتى لم تعد جميلة مجرد مناضلة وطنية عرفتها ثورة الجزائر، بل صارت رمزاً للنضال الإنساني في سبيل التحرر" [١٠١].

بل إننا رأينا كبار الشعراء المعاصرين، كالسياب ونازك والجواهري ونزار وصلاح عبدالصبور وسليمان العيسى وغيرهم، يُكْبرون بطولتها في الكفاح عن وطنها ضد الفرنسيين المحتلين، مدونين مواقفها الشجاعة.

وقد تبين في الأمثلة السابقة حماسة الشعراء في المملكة العربية السعودية للثورة الجزائرية ضد الاستعمار، وإشادتهم بمواقف البطولة التي دونها التاريخ. وكان لجميلة بوحيرد حظ وافر من الشعر الداعم للكفاح الجزائري، بل إن بطولتها استحوذت على قصائد أنشئت من أجلها، كقصيدة محمود عارف (إلى بطلة الجزائر)[١٠٢]، وقصيدة ثريا قابل (وشاء الجهاد) [١٠٣]، بل إن منها ما عُنّنت باسمها، كقصيدة طاهر زمخشري (جميلة) [١٠٤]، وقصيدة سعد البواردي (جميلة) [١٠٥]، وغيرهما.

يقول محمود عارف:

خَلِّدُوا في القُلوبِ ذِكْرَى جَمِيْلَهْ فَهْيَ بِنْتُ العُلا ورمزُ البُطولَـهْ
جاهَـدَتْ عن بلادِها في ثَبَاتٍ كجِهادِ الرُّوّادِ تَبْغِي الفَـضِيلَهْ (١٠٦)

ويؤكد طاهر زمخشري أنها نسيج وحدها في البطولة، على امتداد الزمن :

القُـرُونُ الطِّوالُ مـن أيِّ عَهدٍ لم تُخَـلِّدْ بُـطولةً كجَـمِـيلَهْ
خَطَرَتْ غَضَّةً تَمِيسُ إلى السِّجْـ ـنِ خَلاخِيْلُها القُيُـودُ الثَّقِيلَهْ
وعلى زَنْدِها سِوارُ حَـدِيْـدٍ رَقَّ كالخَزِّ فوقَ كَفٍّ نحيلهْ (١٠٧)

وفي بعض القصائد، تستحوذ جميلة بوحيرد على أغلب الأفكار التي تتناول مواقف البطولة الجزائرية، ومن ذلك قصيدة أحمد باعطب (من وحي الثورة الجزائرية)، التي يصور فيها جانباً من شخصيتها، مشيراً إلى بعض ما نالها من المستعمر الجائر:

سَلْ دُعاةَ الحُروبِ في مَهْدِ وَهْرا نَ عنِ النابِهاتِ مِنْ بَطَلاتِهْ
عن فَتاةٍ جَميلةٍ في إبَاها عَشِقَتْ شَعْبَها وهامَتْ بِذاتِهْ
كَبَّلوها الحَديدَ كيْ يُرهِـبُوها ورمَوها على لَظَى جَمَرَاتِهْ
فإذا القَيْدُ في يَدَيْها ورِجْلَيْ ها حُـلِيٌّ تَزِينُ جِسـمَ فَـتاتِهْ
ومَشَتْ تَسْحَبُ القُيودَ وتَهْتَزْ زُ اهتزازَ الرِّئبالِ في خَطَراتِهْ(١٠٨)

ولا نكاد نجد إلا النزر اليسير من القصائد التي لم تشر إلى جميلة بوحيرد في أثناء الحديث عن كفاح الجزائريين، بل إن بعض الشعراء أهدوا قصائد إليها، مع كون نصوصهم لا تتناول الكفاح الجزائري بصورة مباشرة (١٠٩).

– ٤ –

وظل شعراء المملكة العربية السعودية صدى لمشاعر كل فرد في هذه الأرض المباركة، يمثلون شعور الجسد الواحد مع كل ما يمس الأرض العربية من أذى. وحين يكون هذا الأذى لدولة خليجية مجاورة من دولة عربية مجاورة؛ يصبح وقع الألم أشد، "ففي صباح الخميس ١٤١١/١/١١هـ، الموافق ١٩٩٠/٨/٢م،

بوغتنا نحن الأمة العربية والإسلامية، ومعنا المجتمع الدولي بأسره بالحقيقة المرة الفاجعة (العراق العربي، يحتل الكويت العربية!)" [١١٠].

وأخذ الشعراء ينفثون أحزانهم، ويصورون الخطب الجلل الذي حلّ بالكويت، والذهول الذي خيّم على الأجواء من المفاجِئة التي لم يتوقع أحد حدوثها! يقول صالح العوض:

طَلْقَةٌ دَوَّتْ بـأَرجاء الكُويــتْ أَرْعَبَتْ أَحْيـاءَهــا في كُلِّ بَيْت
وتَـنادَوا بَيْنَهُــمْ ماذا جَـرَى انْظُروا ماذا دَهانا أَيُّ صَوْت
أَهْوَ أُنْــبُوبُ لَـظىً مُلْتَهِبٌ أَمْ حَرِيقٌ مُشْعَلٌ في بِئْرِ زَيْت
إنَّـها دَبَّــابَــةٌ مَــسْـمُورةٌ فيها للأطفالِ تَمْزِيقٌ ومَوْت
لا تُراعِــي حُرمةً مَشْروعَـةً سَحَقَتْ حَقًّا كَرِيماً في الكُوْيت[١١١]

ويقول سعد الحميدين في بداية قصيدته (السهم الغادر):

أيُّ خَطبٍ دهاكَ يا صدرَ الخليجِ المسالم
أيُّ سهمٍ أتاكَ من كفِّ من كنت ..
عضده في رحابه ...
ثم عادت إليك المروءات
خنجراً في الخصر قاتل [١١٢]

ويصور حسن الزهراني مشاعر الأسرة الكويتية وما حلّ بها في هذه المأساة، من خلال حوار فتاة وأبيها، إذ يقول في قصيدته (دماء الأبرياء):

أَبي أيُّ شيءٍ مُرعبٍ زلزلَ الفَجْرا وأَيْقَظَ فينا الخوفَ والرُّعبَ والذُّعْرا
أبي ما دَهاها أرضَ الكويتِ وشعْبَهُ بليلةِ شُؤْمٍ إنَّهُمْ غُدروا غَدْرا
لقد قَتَلوا أُمِّي وجَدِّي وإخْوتي ولم تَنْجُ من إجرامِهِمْ أُختيَ الصُّغْرى
وسـالتْ دماءُ الأبرياء نَقِيَّةً بشارِعِنا يا لَلأَسى تُشبهُ النَّهْرا
يَهُونُ عليهمْ أن يَمُوتُوا بأرضِهِمْ كِراماً ولا أنْ يُصبحوا للعِدا أَسْرى
أبي إنَّهُمْ عاثُوا فساداً بأرضِنا أَحالُوا رياضَ الحُسنِ في أرضِنا قَفْرا

أجابَ أبوها والدُّموعُ بخَـــدِّهِ لِكثرةِ ما يَبكِي أَسىً رَسَمَتْ مَجْرَى
كَفَى يا فَتاتِي واصْبِرِيْ وتَحَمَّلِي لعلَّ مع العُسرِ الذي راعَنا يُسْرا(١١٣)

وأسى الشعراء على حال الأمة في هذا الزمن الذي بات فيه العربي يقتل أخاه العربي، يقول يحيى توفيق حسن في قصيدته (أمة العرب):

جارَ الزمانُ علينا بعدما غَضِبا كأننا لم نُعانِقْ مَجْدَهُ حِقَبا

ثم يتذكر ماضي الأمة المجيد وما آلت إليه بعد ذلك:

أيامَ كُنَّا يدُ الدُّنيا تُهَدهِدُنا والدَّهْرُ يَحْنُو علينا وامِقاً طَرِبا
واللَّيلُ في دِفْئِهِ يُذكِي عَواطِفَنا فَيَسْهَرُ الشَّوقُ في أعماقِنا صَخِبا
ونُشْعِلُ الحربَ لا نَخْشَى عواقِبَها ونَرفُضُ الذُّلَ والإذعانَ والكَرَبا
واليوم عُدنا وكلُّ الأرضِ تَنْبُذُنا والعُرب هَمُّهُمُو أن يَقْتُلُوا العَرَبا
أخي يُحاوِلُ إسكاتِي وتَعرِيَتِي ويَعلَمُ اللّهُ كم أَوْليتهُ حَدَبا
وقِمَّةُ الظّلمِ ظُلمُ الأَقربينَ لنا إذا طَغوا وتَناسوا الرّحمَ والنَّسَبا
أخي وتُسرِفُ في قَتْلِي ألستَ أَخي إليكَ أَلجأُ يومَ الرَّوعِ مُقْتَرِبا(١١٤)

وفي غمرة المشاعر الحزينة التي انتابت الأمة من هذا الحدث المفاجئ، أخذ الشعراء بإلقاء اللوم على من اعتدى على البلدة الآمنة، و كان سبباً في شق الصف، فغازي القصيبي في قصيدته (مرثية فارس سابق)، يخاطب الرئيس العراقي في لحظة دهشية، وهو يرى الطعن في الظهر من أخ كان يرجى للملمات:

عجباً كيف اتخذناكَ صديقا
وحسِبناكَ أخاً برًّا شفيقا
وأخذناك إلى أضلاعنا
وسقيناكَ من الحُبِّ رحيقا
سيفَنا كنتَ .. تأمّل سيفَنا
كيف أهدى قلبَنا الجُرحَ العميقا

دِرعَنا كُنتَ .. وهذا دِرعُنا

حربةٌ في ظهرِنا شَبّت حريقا (١١٥)

وتوالى اللوم والتعنيف من شعراء المملكة العربية السعودية على هذا الفعل القبيح، الذي لم يراع الجار، ولم يلتفت إلى رابطة العروبة والإسلام، يقول محمد علي مغربي:

رجوناكَ عوناً للشَّدائد والكرب نَلُوذُ به يومَ الكَريهةِ والخَطْب
فكنتَ لنا حَرْباً بغيرِ جَريرةٍ سوى طَمَعٍ يُغريكَ بالسَّلبِ والنَّهب
غدرتَ ولم ترعَ الجوارَ وحُرمةً لرابطةِ الإسلامِ والعهدِ والعُرب
تناسيتَ ما أُوليْتَ مالاً وعدةً فجازيتَنا بالعندِ والقتلِ والغصب
وأرسلتَ جيشاً للكويتِ عَرمرماً ليغتالَ أرضَ السِّلمِ والبرِ والحبِّ
وكنا نُرَجِّي الجيشَ للقدسِ سائراً فسارَ إلينا بالكوارثِ والحرب(١١٦)

وفي خضم حديث الشعراء عن هذه الفاجعة، رددوا الإشادة بمواقف الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود التي دونها التاريخ في هذا الحدث الذي حل بالأمة، فحمد العسعوس يقول في مقدمة قصيدته (البشارة): "إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز؛ تقديراً لمواقفه البطولية المشرفة أثناء حرب الخليج"، ثم يبدأ قصيدته، قائلاً:

يا فهدُ تَهْفو لكَ الأرواحُ والمُقَلُ شرَّفتْ أُمَّتَنا يا أيُّها البطلُ
قطعتَ زعنفةَ المُنشقِّ فالتأَمَتْ جراحُنا فجأةً واجتاحَه الشَّلَلُ(١١٧)

ثم يقول:

لولا إباؤكَ يا فهدُ لما احتسبتْ أصواتُ بلبلةٍ أَفضَى بها الدَّجلُ
لولا إباؤكَ يا فهدُ لما وقفتْ جحافلُ الغدرِ إنَّ الغدرَ يَنتقِلُ(١١٨)

وتكلم الشعراء على حكمة الملك فهد، وحسن تدبيره، وتصديه للأحداث في ذلك الموقف التاريخي المشهود، يقول إبراهيم فودة:

يا فهدُ أحسنتَ تصريفَ الأمورِ ومَنْ باللهِ مُعتصمٌ فالشرُّ مُمْتَنِعُ(١١٩)

وتسابقوا في بث مشاعرهم، وتصوير ذلك الموقف العظيم للملك فهد، من ذلك قول محمد العجلان:

يا خـــادمَ الحرمينِ أسعَدَنا الـ ـحِلمُ والإجـراءُ والـــــرَّدُّ
هَبَّتْ من الصحراء عاصـفةٌ منها قِـــلاعُ الـظُّـلمِ تَـنْهَـدُّ
دكَّـتْ حُصونَ البغْـيِ فاندحَرَتْ آمالُ مَنْ نَحْوَ الحِمَى مَدُّوا
هذي الكويتُ يَلُـوحُ بارِقُها فلَقَدْ دنا في ساحِها الوَعْدُ[١٢٠]

وأشار الشعراء إلى وفاء الملك فهد ورعايته لحقوق الأخوة والجوار، يقول علي النعمي، مخاطباً أمير الكويت (الشيخ جابر الأحمد الصباح):

يا جابرَ العَثَراتِ دُمْتَ مُظَفَّـراً ولـكَ الكويتُ بِـبَـرِّهِ وبِمـائِهِ
ولك الوفاءُ من الرياضِ وفَهْـدها صقرِ الجزيرة في أَجَلِّ ولائِهِ[١٢١]

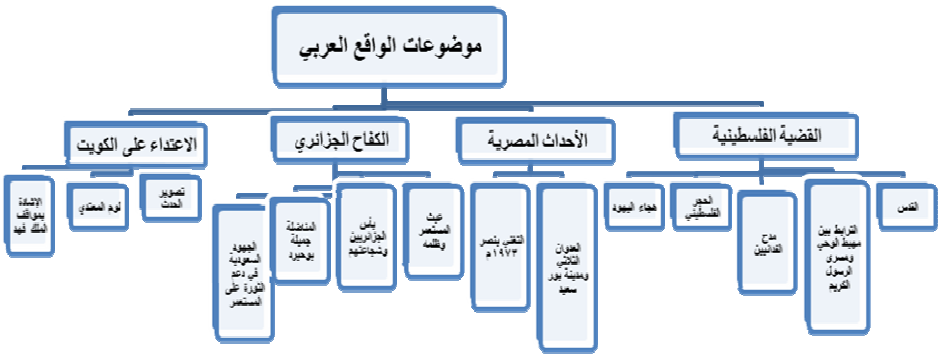

المبحث الثاني

سياقات الشعر في التعبير عن الواقع العربي

تناولت في المبحث الأول من هذه الدراسة الموضوعات التي طرقها الشعراء والقضايا التي شغلت أذهانهم في الفضاء العربي. ويأتي هذا المبحث للحديث عن سياقات الشعر المتلون بعواطف الشعراء الذين عاش أغلبهم مراحل المأساة الفلسطينية والعدوان على البلاد العربية وثورات التحرر ومآسي الشتات وفرح الانتصار.

وكانت قضايا العرب من الهواجس التي شغلت أذهانهم، فانطلقت أصواتهم مؤازرة أبطال الثورات، الذائدين عن الهوية العربية التي حاول المستعمر طمسها، والأرض التي قاتل للاستيلاء عليها.

وجاء الحضور الموضوعاتي لسياقات الشعر متلوناً بحالات الأتراح والأفراح والآلام والآمال، فجاء شعر تلك المرحلة التاريخية من الحياة العربية معبراً عن الواقع الذي عاشته تلك الأجيال من الشعراء، وصدىً للأحداث المعيشة، والتجارب المختلفة، والاتجاهات النابعة من الرصيد الثقافي الذي ينهل منه كل شاعر.

فالحدث الواحد، تنطلق منه سياقات مختلفة، هذا متفائل، وذاك متشائم، هذا مستصرخ، مستنهض، وذاك متفاخر، متعاظم. والحديث في هذا المبحث، سيكون عن أكثر السياقات دوراناً في ألسن الشعراء.

١- سياق الاستنهاض: عاش الشعراء وقائع مؤلمة، ألهبت عواطفهم، فأخذوا يشحذون الهمم، مستنهضين المجتمعات العربية؛ للاتحاد ضد الأعداء، واتخاذ القوة في مواجهتهم، ودعوا إلى النهضة؛ أسوة بالمجتمعات الأخرى.

ورأى الشعراء أن الظلم والاستبداد لا يمكن أن يواجه إلا بالحديد؛ فهي اللغة التي يعرفها العدو، يقول معيض البخيتان:

جابهُوا الظُّلمَ بالحديد إذا ما كانَ إلا الحديدُ عُرفاً لجاهلْ

أَمِنَ الحقِّ أن تُداسَ وتَهْوِي بُرُجٌ حُرَّةٌ وفِينا مُنازِلْ [١٢٢]

ويقول محمود عارف:

وأعيدوا كرامةَ العُربِ بالحَرْ ب فنعمَ القُربانُ بذلَ الدماء
لا يَفُلُّ الحديدَ إلا حديدٌ وعِقابُ العدُّوِ في الإفتاء [١٢٣]

وفي خضم الاستنهاض، كرر الشعراء أن العدو لا يجدي معه الكلام، وأن القوة لا تجابه إلا بالقوة؛ فالخُطب لا يمكن أن تعيد حقًّا مسلوباً؛ لأن القول بلا فعل يدعمه، لا طائل منه، يقول حسن القرشي:

كلّ يومٍ لنا شِعارٌ جَديدٌ وخَطيبٌ يَنْبو على النُّصَّاحِ
يَنْثُرُ القَولَ لا يُدَعِّمه الفِعْ لُ ويَمشي في الرَّاكدِ الضَّحْضاحِ
ليس يُرجى سوى الجهادِ شعارٌ وانتضاء الظُّبا وشرعِ الرِّماحِ [١٢٤]

ويخاطب إبراهيم فودة قادة العرب، راجياً أن يكفوا عن الأقوال، ويستبدلوا بها الأفعال:

باللهِ كُفُّوا عنِ الأقوالِ مُسهبةً لينطقَ اليومَ من أَرماحِنا السَّلَبُ
لا يَحْقِنُ الدَّمَّ إنْ دِيسَ العرينُ وإنْ عاثَ العُداةُ به إلا الدَّمُ السَّرِبُ [١٢٥]

فالكلام لا يعيد أرضاً مسلوبة، كما يقول سعد البواردي، الذي بدأ قصيدته (إطلالة ما بعد النكسة)، قائلاً:

ما أعادَ الكلامُ أرضاً سَلِيبهْ سائلوا في القَصيدِ دُنيا العُروبهْ [١٢٦]

وختمها قائلاً:

إنَّ صوتَ الرصاصِ في ساعةِ الحسْ مِ لأَجدى من خُطْبَةٍ وقَصيدهْ [١٢٧]

وظل الشعراء يكررون اللوم، ويتساءلون في كل مناسبة متى ننتهي من الكلام؟ متى نرى الأفعال تنطق؟ يقول محمد سعيد العامودي:

وعُدْتُ أسألُ نَفْسِي متى يَبِيدُ الظَّلامُ
ويَنْجَلي الصبحُ للنَّاسِ ليس فيهِ قَتَامُ
متى نَراها فِعالاً متى يَقِلُّ الكَلامُ
لكي تُحرَّرَ أرضٌ فيها اليهودُ أقاموا [١٢٨]

ويقول خالد الخنين:

يا أيُّها العَربُ الأُباةُ أما كَفَى ما كان من شَجْبٍ مَضَى مَخْمُورا(١٢٩)

وصار الاستنكار فحسب في كل أزمة تمر بها الأمة مدعاة للضحك، يقول غازي القصيبي:

واضْحَكْ من الأَفذاذِ صَفْوَةَ يَعْرُبٍ قَنِعوا من الأَزَماتِ باستنكارِها(١٣٠)

وظل الشعراء يرددون:

النَّصْرُ بالحَرْبِ لا بالقَولِ مُكْتَسَبُ والنَّصرُ في المُنْتَهَى مَجْدٌ بلا بُوَقِ(١٣١)

وفي سياق الاستنهاض، استصرخ الشعراء قومهم؛ لإنقاذهم من غفلتهم، متسائلين كيف يكون للفرح طعم والعدو يستبيح الأرض، وينشر الشرّ، يقول عبدالسلام هاشم حافظ:

ما العيدُ يا قومُ والعدوانُ قائمةٌ أسبابُهُ ولهُ في الشَّرِّ تَصْعِيدُ
إلى متى يَسْتَبِيحُ الغَدْرُ عالَمَنا ويَغْمُرُ الأرضَ تَبْديلٌ وتَهْوِيدُ
إلى متى تُسْتَبَاحُ الأُسْدُ غافلةً عَمّا دَهَانا وللأَشْباحِ تَرْدِيدُ
العُرْبُ أينَهُمُ لا يَسْتَفِيقُ لهمْ وعْيٌ وقلبٌ وإيمانٌ وتهديدُ(١٣٢)

وأكد الشعراء أن استغراق العرب في النوم هو ما جرأ العدو على اغتصاب الأرض، يقول أحمد بهكلي، مخاطباً الأمة العربية:

أيُّها السادرونَ في النَّومِ والسّا رِقُ سهرانُ دائمُ الاختلاسِ
انْفُضُوا هذه المضاجعَ قد أَسْ رَفْتُمُ في المنامِ والرَّبْعُ آسِ(١٣٣)

ودأب الشعراء وهم يستنهضون الأمة، على التذكير بماضيها الزاهر، والإرث العظيم الذي خلفه أولئك الرجال الأفذاذ، يقول محمد إبراهيم جدع:

أيُّها العُربُ ويا نَسْلَ الأُلى أَسَّسُوا المجدَ بعَهدِ الراشدينْ
جَدِّدوا اليومَ كِفاحاً دائباً يرفعُ الشَّرقَ ويَهدي الحائرينْ(١٣٤)

وهم حينما يلحون على الماضي، إنما يريدون بث الروح في النفوس المحبطة، يذكرونهم بالأمجاد التي لا يمكن أن تعود إلا بنبذ الأحقاد وتوحيد الصفوف، يقول أحمد الغزاوي:

أيُّهـا الشرقُ قد أطلتَ الرُّقـودا فانهضِ اليومَ واحطمَنَّ القُيودا
لا يَصُدّنْكَ عن طِلابِكَ ضِدٌّ واحشُد الغَورَ والنُّجودَ جُنودا
أَرجعِ الطَّرفَ نحوَ ماضيكَ تَزْهُو واحملِ السَّيفَ والقَنا كَيْ تَسُودا
كم أضاءتْ شُمُوسُ فضلِكَ دَهْراً فيه قد سُدْتَ والأنامُ عَبيدا
قد كَفَى من سُباتِنا ما تَقَضَّى يا بَني الشَّرقِ فارفَعُوها بُنُودا
وانبِذُوا الضَّغْنَ والسَّخائمَ لولا شَرُّ ها تين ما سَكَنّا اللُّحودا(١٣٥)

وفي خضم حديثهم عن غفلة الأمة ودعوتهم إياها للإفاقة، كانوا يدعون لوحدة الصف، ونبذ الاختلاف، يقول حسن القرشي:

أُمَّةَ العُـرْبِ أَفِـيْقِي فَلَكَمْ مَرَّ في الأيامِ مِنْ نُعْمَى وبُؤْسَى
وسـبيلُ النَّصرِ شَـوكٌ ودمٌ نحن جُزْناهُ فلن نرهَبَ نَحْسا
وحِّـدي الصـفَّ قَوِيًّا واجمَعي من بني عدنانَ للهيجاء شُمْسا(١٣٦)

ويدعو الشاعر محمد حسن عواد إلى وحدة العرب، وإلى التسامح والتعاضد وإحياء أمجاد الأوائل، ونبذ التفرق والقطيعة بين أبناء الأمة الواحدة، التي تجمعها المشاعر المشتركة، واللغة الواحدة، يقول من قصيدته (وحدة العرب):

إنَّا لَيَـرْبطُنا الشُّـعُورُ تَشُـدُّهُ لُغَـةٌ تَغَلْغَلُ في ذَرا الأكبـاد
فدَعُـوا التَّفَرُّقَ والتدابُرَ جـانباً حَسْبُ اللَّبيبِ دَسائسُ الأضداد
وإلى التسـامُحِ والتسـانُد يا بَـنـي قَومي ونحو مكارمِ الأجداد (١٣٧)

ويُذَكّر محمد إبراهيم جدع بأن قوة العرب في وحدتهم، ويحثهم على عدم التحالف مع الأعداء، يقول في قصيدته (الوحدة العربية):

أُمَّةَ التوحيد قـد حقَّ اليقينْ فاعملي اليومَ لقمعِ المعتدينْ
وانبـذي الأَحـلافَ للغربِ فما يَعملُ الغربُ لخيرِ المسلمينْ

ثم يكرر عبارة (وحدة العرب) في مطالع الأبيات، مؤكداً أنها السبيل إلى القوة ومنع الظلم:

وَحْـدةُ العُربِ لها في جَمعِها قـــوةٌ تُذهـــبُ يأسَ اليائســينْ
وَحْدةُ العُربِ لها في عَزْمِها قوةٌ تَمْنعُ ظُلمَ الظالمينْ
وَحْدةُ العُربِ لها في بَأْسِها قوةٌ تَصْرَعُ جَمْعَ الغادرينْ[١٣٨]

٢- سياق التفاؤل: عاش الشعراء واقعاً مريراً، شهدوا من خلاله تسلط الأعداء واعتدادهم بقوتهم، وآلمهم مشهد المشردين وهم يرحلون من أراضيهم العربية، ولكن ثقتهم بالله لم تتزعزع، بل كانوا واثقين بتآخي العرب وصعق العدو، فمفرج السيد يخاطب فلسطين في قصيدته (طريق العودة)، قائلاً:

لا تَـقـــولِي تَركُـوني في يـــدِ البـــاغِي ضَحِيَّـــهْ
سوفَ نَدْعُـو للتـــآخِي قَومَنا في حُســـنِ نِيَّهْ
ثم نُـصْلِيهـــا شُواظاً للعصـــابـــاتِ الشَّقِيَّـــــهْ
وتَعُوديـــــنَ إليـــــنا يابـــلادي العَرَبِيَّـــــهْ[١٣٩]

وحسن القرشي، يخاطب إسرائيل، متفائلاً بأن البلاد الفلسطينية ستعود إلى أهلها:

إنْ تكوني نِلْتِ من (بلفورَ) للإجرامِ صكّا
سنردُّ الوعدَ شُؤماً يتحداكِ وهُلكا
إنَّ نُورَ الفجرِ للفادينَ لا يقبلُ شَكّا
وغداً نسترجعُ الرملةَ واللِّدَ وعَكّا [١٤٠]

ومن التفاؤل بأن الله سينصر المظلوم ويدحر الظالم، أن الشعراء كانوا يدعون إلى الصبر، مؤمنين بأن الله سيجعل من بعد العسر يسرا، مبشرين بالفرج الذي لن يطول، يقول عبدالله الرشيد:

يا قُدْسُ لا تَقْفَئي عَينيكِ واصطبِرِيْ فالنَّصْرُ في رَحِمِ الآلامِ مَكْنُونُ

يا قُدْسُ لا تَقْتَئي عَينيكِ وانتظِري قَضاءَ رَبِّكِ فهْو الكافُ والنونُ[١٤١]

وأكدوا إيمانهم بنصر الله في قصائد كثيرة، منها قول خالد الخنين:

تتارُ العصرِ مهزومون باسمِ الله
واللَّيلُ الذي حَملتهُ أوهامُ القذائف
لا يطول
وإنَّ نصرَ اللهِ آتٍ [١٤٢]

وحين يتناولون قضايا العرب وما يقع من ظلم، يلحون على فكرة إشراقة صبح جديد؛ تفاؤلاً بانتصار الحق، فمحمد هاشم رشيد يبعث خطابه (إلى المجاهدين الأشاوس في أرض الكويت الحبيبة)، مبشراً بصباح جديد، يقضي على الرعب:

لا تَقُلْ أطبقَ المساءُ جناحَيْ ـهِ علينا وقيّدَتْنا الجراحُ
وارتمى الرُّعبُ كالقضاء وضجَّتْ تحتَ أقدامِهِ الرُّبا والبطاحُ
والأَخاديدُ والقبورُ تَنَزَّى بين أطباقِها الرَّدَى المُجْتاحُ
فوراءَ الأشواكِ يَبْتَسِمُ الزَّهْـ رُ وخلفَ الدُّجى يُطِلُّ الصَّباحُ [١٤٣]

وغالباً ما تأتي هذه الفكرة في آخر القصيدة، من ذلك قول محمود عارف في ختام قصيدته (أجراس النكسة):

لا بُدَّ للصبحِ المُعَبْـ بِس أنْ يعودَ لهُ البَهاءْ
حَتْمٌ علينا أن نَرُدْ دَ حُقُوقَنا دُونَ ارتخاءْ
سنُعيدُ أمجادَ العرو بةِ بالمعارك والمَضاءْ
مَرحى فلسطينَ الجريـ حةَ فاللقاءُ هو الدواءْ
سنعودُ فوراً للديا رِ وللترابِ وللجواءْ[١٤٤]

٣- سياق التفاخر: كانت الأمة العربية مثالاً يحتذى برجالها وأمجادها، ولما فقدت ذلك التاريخ المجيد، وتطاول عليها الأعداء، جاء التفاخر بالقيم العربية،

وبالحضارة العربية، وبالرجال الأفذاذ من أبنائها في أثناء تفاعل الشعراء مع الواقع الذي عاشته الأمة.

فالشاعر محمد إبراهيم جدع في قصيدته (معركة المصير)، يفتخر بأصالة العرب الذين نشروا العلوم وأقاموا العدل:

أَلَسْـــنا أَقَمْنا مبانِـي العُلا نـُشِيدُ بِعزمٍ بَعيدٍ مَـــداهْ

أَلَسْـنا قَمَعْنا شُـــرورَ الطُّـغاةِ أَلَسْنا رَدَعْنا جُيوشَ العُتاهْ

نَشَـرنا العلومَ وشَـتّى الفنونِ ولم نَبْخَسِ النَّاسَ حَقًّا نراهْ (١٤٥) **بالمضاء**

ويفتخر محمد السنوسي بأن الإسلام هو الذي هذب العرب، مشيراً إلى انتمائهم إلى رجال كرام، أقاموا العدل، ولم يتجاوزوا الحدود المشروعة، يتحدث عن ذلك وهو يرى ما يشهده العالم العربي من أحداث، اتضح فيها طغيان الغالب وظلمه:

العـــالمُ العربـــيُّ صُـــنعُ رســـالةٍ كبرى ونسْلُ غَـــطـارِفٍ عُـــظَـــمـــاءِ

عَـــرَبٌ بنـــوا الـــدُّنيا بنـــاءً مُحكمـــاً بالعدلِ وهْوَ أَساسُ كُلِّ بِناءِ بـــالـــمـــضـــاء

سَـــطَعُوا فأشـــرقتِ الحيـــاةُ بِنُـــورِهِمْ وزَهـــــتْ بإنـــــســانِـــيَّـةٍ ســـــحّاءِ

مَلَكُـــوا فمـــا ملـــكَ الغُـــرورُ طِبـــاعَهُمْ وعَلـــوا فمـــا وطِئـــوا جبـــينَ حَيـــاءِ (١٤٦)

وجاء فخرهم في سياقه المناسب في ظل هضم الحقوق العربية، وتجاهل المنظمات الدولية نداءات المظلومين؛ من أجل ذلك رأينا الشعراء يؤكدون في كل مناسبة التاريخ العربي المجيد في العدل وإقامة السلام، فعبدالله بن إدريس في قصيدته (محنة المغرب العربي)، يمقت فعل المستعمر الفرنسي الذي جاس الديار قتلاً ونهباً، ويذكره بأمجاد العرب:

ألا فاسألوا التاريخَ عن أُمَّةِ العُرْبِ وعن مَجدها السَّامِي على قِمَمِ الشُّهْبِ
وعن نشرِها ضَوءَ العدالةِ ساطعاً وعن خَوضِها في كلِّ مُعْتَرَكٍ صَعْبِ
فهل أحدٌ أَبْلَى بلاءً مُؤَزراً لخيرِ بني الإنسانِ غيرَ بني العُرْبِ[١٤٧]

ثم يُذكِّر المستعمر بمجد العرب الذين حكموا الدنيا، ولكنهم لم يفعلوا كما يفعل، بل أعطوا كل ذي حق حقه، ولم يُقْدموا مثله على النهب والسلب:

أمَا حَكَموا من أرضِ طَنْجَةَ مَغرِباً إلى الصينِ شرقاً بالسَّلامِ وبالحُبِّ
أمَا مَنحوا تلكَ الشُّعوبَ حُقُوقَها وما طَمِعوا يوماً بِنَهْبٍ ولا سَلْبِ
بلى إنَّهُمْ للسِّلمِ أَقْوى دِعامَةً وللمُثُلِ العُليا حُماةٌ من الثَّلْبِ[١٤٨]

وحينما يرون ضعف الأمة العربية، يوقظون أبناءها بتذكيرهم بما كان لهم من حضارة سادت، يقول عبدالسلام هاشم حافظ:

يا أَخِي نحنُ الأُلى سُدْنا على الدُّنْ يا بتوحيدٍ وإخلاصٍ أعمِّ
والحضاراتُ التي شُدنا سَتَبْقَى مَنْهَلاً للعالمِ الباني بعزمِ[١٤٩]

ويفاخرون بالبطولات التي سطروها، مشيدين بشجاعة العربي وصبره على الحرب، يقول حسن القرشي في قصيدته (صرخة الثأر):

يا أُمَّةَ العُرْبِ اسلَمِي وثِبِي إلى العَليا وأوبِي
شرفُ النِّضالِ لنا ومِنْ أعدائنا شَقُّ الجُيوبِ
نحن الأُلى عركوا الشَّدا ئدَ دونَ يأسٍ أو لُغُوبِ
نَسَجَتْ عزائمُنا الملا حمَ وانتشتْ بدمِ الحُروبِ[١٥٠]

والاعتداد بشجاعة العربي، جاء في سياقاته المناسبة -كماسبق- فالشاعر محمد السنوسي في قصيدته (بطولة الجزائر)، تحدث عن استذلال الفرنسيين للشعب الجزائري، مشيراً إلى غدر المستعمرين ووحشيتهم، فكان من المناسب بعدها أن يتناول شجاعة العربي، وإشعاع العروبة الذي عم الكون، يقول مخاطباً فرنسا:

أَغرَّكِ حِلفُ الأَطلسيِّ وأهلُهُ لقد خابَ حِلفُ الأطلسيِّ وخابوا

ألـم تـعلمي أنَّ العروبةَ نُورُها على كلِّ أفْقٍ كوكبٌ وشِهابُ
تَصدَّعتِ الأسوارُ واندكَّ حاجزٌ ومُزِّقَ من ذاكَ السِّتارِ حِجابُ
مَشَينا على الألغامِ والشوكِ واللَّظَى وقدْماً سَرَينا والسُّيوفُ رِكابُ
وهبَّتْ على أرواحِنا ونفوسِنا نسائمُ من فجرِ الخلاصِ رِطابُ
وبشَّتْ لنا الدُّنيا هوىً وتهلَّلتْ وضاقتْ بأقدامِ اللصوصِ رِحابُ(١٥١)

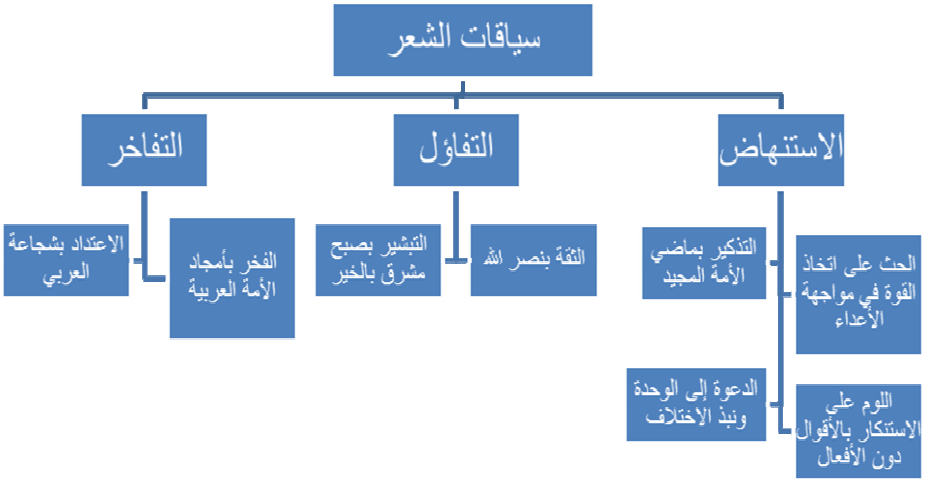

المبحث الثالث

المعجم الشعري المعبر عن الواقع العربي

بعد تناول موضوعات الواقع العربي وسياقاته في ديوان الشعر السعودي، يأتي هذا المبحث لكشف اللغة المسيطرة، التي عبر من خلالها الشعراء عن ذلك الواقع؛ فالمعجم الذي يستخدمه الشاعر، يكشف عن القضايا التي تشغل ذهنه، و"سيطرة موضوع معين في مرحلة شعرية ما، تستدعي ظهور مفردات تناسبه، وتفرض غياب مفردات لا تناسبه" (١٥٢).

والشعراء في المملكة العربية السعودية، عاشوا مراحل الصراع التي واجه فيها الإنسان العربي الاستعمار وما صاحبه من ظلم واستبداد، وجاء المعجم الشعري في تلك المراحل معبراً عن أحوال النفوس الطامحة إلى الحرية والنصر والنهوض، المتطلعة إلى التخلص من شعور الخيبة والهزيمة النفسية.

وقد أومأ عبدالكريم حسن إلى أن أخطر القضايا التي تواجه المنهج الموضوعاتي قضية العلاقة بين الشكل والمضمون (١٥٣)، وانتهى إلى أن "القراءة الموضوعية [يقصد: الموضوعاتية] تنطلق أساساً من قاعدة المدلول، ولكنها لا تغفل الدال، إذا كان يخدم نوعية التحليل الموضوعي ومطامحه" (١٥٤).

والدال والمدلول ثنائية صعبٌ فصلها، و"تعتبر الكلمة الوحدة المعجمية بامتياز، بالرغم من المشاكل الكثيرة التي تعترض المعجميين في تصنيف كلماتهم وترتيبها، كما تعتبر الوحدة الدالة، الحاملة لمعنى، الأفضل من غيرها، بيد أنه لا يمكن فصل شكلها عن مضمونها، أو دالها عن مدلولها" (١٥٥).

ومن خلال تتبع دواوين الشعر السعودي التي تكلمت على الواقع العربي؛ اتضح شيوع بعض الحقول الدلالية التي استدعتها تلك الوقائع التي دونها الشعر، فقد شهد الشعراء ما حصل من قتل وتشريد واستبداد؛ فشاع حقل الظلم، وحقل الغدر، وحقل القيد، وشاع حقل الأسى؛ لما رأوه من حالات البؤس والمعاناة التي

خلفتها تلك الوقائع، وحقل الموت وما يندرج فيه من سفك للدماء ويتم وقبر ولحد ومآتم وحِداد، وحقل الحرب وأدواتها والقوة ومفرداتها، وفي حقل الحيوان، رأينا توظيف بعض الحيوانات والطيور والحشرات في سياقات المدح بالشجاعة، أو الهجاء بالجبن والغدر وغير ذلك، وفي حقل الصوت، رأينا ألفاظ الصياح والصراخ التي كانت معبرة في سياقاتها، كذلك حين يصفون الأحداث، نجد صوت الرصاص، وقصف المدافع، وصليل السيوف، وفي المديح والهجاء، نسمع الزئير والعواء والنباح والنعيق، وفي الألوان، نجد شيوع اللونين الأسود والأبيض، المعبرين عن الواقع المرير والتطلع إلى غدٍ مشرق.

والجدول الآتي يوضح الحقول الدلالية السائدة في لغة الشعر المعبر عن الواقع العربي:

الحقل	المفردات
الظلم	استبداد، بغي، الإفك، معتسف، مستبد، المستبد، تجور، الجور، السلب، النهب، نهباً، الغصب، الغاصب، الغاصبين، اغتصاب، اضطهاد، انتهاب، استحلوا، استباحوا، الطغاة، الجبابرة، الغاصبين، الطواغيت، طاغوت، الطاغية، الطغيان، طغوا، التعدي، إجحاف، حيف، غبن، البهتان، قوى البغي، بغي فرنسا، الباغية، باغية، بغاة، ظُلموا، ظلم الحياة، الظلوم، المظلوم، الضيم.
الغدر	خدعة، خديعة، الخادعون، يخادعهم، الخائنون، الخيانات، الخؤون، عصبة غادِرة، غادرون، الغدر، غدر، انغدر، غادر، غدور، الغدّار، غدر الغاصبين، غدرة الذئب، مكر الثعلب، روغ الثعلب، مكرُهُ، مكر، المكر، الماكرون، مكرهم، خادع، العِمالات، نقض العهود، الأحبولة، أحبولة، لحابل يصطاد، التدليس، الدسائس، مكيدة، مكائد، المكيدة، مكيدات الأعداء، الكيد، غشكم، الخيانة، خانوا.

القيد	السجن، يسجن، سجانها، سجنه، السجون، الأصفاد، صفاد، القيد، قيود، القيود، مقيد، أسرى، الأسرى، مأسورة، أسيرة، أسير، قبضة الأغلال، الوثاق، وثاق، كبلوني،كبلوها، كبلوه، كُبّلوا، اعتقال.
الأسى	شقوة الروح، مرير، البؤس، آلام، أليمة، الجرح، الجراح، جراح، الجروح، جرح غائر، القلب الجريح، الجراح تنزف، جرحنا الناغر، جراحنا، النُّوب، الهموم، الرزء، رزايا، الرزايا، الآلام، الأحزان، مكابدة، القهر، دمعت، جحيم المعاناة، المأساة، مكروب، مكتئب، تكدير، ثكلى، الجحيم، الدواهي، الوجد، سيبكيك، أسى، المآسي، مجرحات، الألم، ألمي، النوائب، محنة، العويل، الكدر، الحرقة، الخطب، حزن، حزين، الحزين.
الموت	سفكوا، أبادوا، قتلوا، قُتّلوا، تقتل، تقتيل، المقتول، أقتل، قتل، قتلاها، المقتول ، تكفَّن، نعش، نعشه، يتم الأطفال، لحود، جوف اللحود، المقابر، القبور، قبور، القبر، المنية، الحِمام، صرعى، حتفهم، الهلاك، مهلكة، اغتيال، يغتال، غالت، غاله، الغيلة، ينتحر، انتحر، الحتوف، سحابة الموت، الموت الزؤام، مات، موتاً، موت ساحق، يموت، يفنى، الفناء، الإفناء، مذابح، المذابح، المجازر، مجزرة، يريقوا الدماء، سفك الدماء، مآتم، المنايا، حداد، نُردي، الردى، يستشهد.
الحرب	المعارك، معارك، زحف، نار الحرب، حروب، الحروب، غارة، غارات، الغارات، معترك، تثور، الثورة، الثائرون، التحرير، جاهدي، جاهدت، الجهاد، ملحمة، الملاحم، معركة، ساحة المعركة، ساحة الحرب، غمرات الحرب، النضال، يناضل، نضال، الجيش، الجحافل، جحافل، كتائب، كتائبها، الوغى، فيلق.

أدوات الحرب	الحسام، السيف، أسياف، السيوف، سيفنا، سيوفهم، البتّار، الصارم، صمصام، المهند، الهندي مسلول، السيف اليماني، النَّصل، الأغماد، غمد سيفي، الأسنة، دروع، الدروع، درعنا، قنابر، حد النصال، شبا، الظُّبا، القنا، قنا، أطراف القنا، الرماح، سهم، أسنة، الِحراب، الحربة، حربة، الترس، ترس، الرصاص، رصاص، البارود، البنادق، البندق، زناد، الرشاش، المدافع، المدفع، المدفعية، مدفعي، صاروخ، الصواريخ، الطائرات، حاملات الطائرات، القاذفات، قاذفات النار، القنابل، الألغام، قلنسوة، مِجَنّ.
القوة	الإصرار، روح قوية، قوة، عزمة، عزائم، عزماتنا، عزم، قوي العزمات، قوة تتحدى، المغوار، الأباة، الصِّيد، أشاوس، بأسها، بأس، البأس، البأس الشديد، يزلزل، سنمزق، سحق العدو، سحق المعتدي، ضراوة قسور، شامخ، القوي، البطولة، العنفوان، حطِّم، احطِمن، شمِّر، احشد، شنها، ألهبوها، أشعلوها، يفترس، نشعل، قصف.
الحيوانات والطيور والحشرات	الأسد، أسد، أسود غيل، الآساد، آساد الشرى، أسد الشرى، مستأسد، أسد الحمى، مضمار الأسود، ليوث، ليوث الغاب، الليث، أشبال غاب، شبول، أسد الغاب، أسود غيل، السبع، الرئبال، غضنفر، الضرغام، ضراغم، السراحين، الذئاب، الذؤبان، ذئب، الذئب، وحش، ضباع الفلا، الضبع، الجؤذر، ثعالب، ثعلب الصحراء، ثعالب البيد، الثعلب، الخيول، خيل، المراقيل، فوارس، الوحوش، كلاب، كلب، جرو، الغنم، عنز، حَمَل، قرود، نسل القرود، القرد، الخنزير، خنازير، بقر. الأطيار، الطير الأبابيل، طيور الماء، النسور، النسر، نسر، صقور، العقبان، الغربان، غراب البين، الغراب الأسحم، الشواهين،

	الزرازير، حمائم، حمامة، نعامة، النعامة. الجنادب، الأفاعي، الأفعوان، الأفعى، الحية، الحية الرقطاء، العنكب، الجراد، فأر الفلك، ثعبان، الديدان، الجرذان.
الصوت	صياح، صاحت، صرخات، يصرخ، صرخة شعب، القدس يصرخ، صوتها الباكي، أنّة القدس، أنّات مكتئب، تئن، الآهات، الآه، العويل، بكاء، العويل، صوت الرصاص، قصف المدافع، صليل البواتر، قرع السيوف، زئير الأسد، تزأر، عواء، نباح، تنبح، فحيح، نعيق الغربان.
اللون	أسود، الأسود، السمر، الليل، ظلام، الظلام، الدياجير، البيض، صباح، الصباح، الإصباح، أسفر الصبح، مشارق الشموس، نهار، نور، ضياء، الضياء، شواظ البرق، سنا المصباح، مصباح، نيران، النار، لهيب شب، اللهب، جمر، الجمر، جمرة، الدماء، دماؤنا، الدم، الأخضر، تعشب.

الواضح من الجدول السابق، أن الحقول الدلالية الغالبة على لغة الشعر، تؤكد ما تناوله المبحثان السابقان؛ إذ صور الشعراء ما شهدوه من ظلم، فكان من الطبعي أن تسود هذه الحقول المعجمية (الدلالية) وما توافر فيها من علاقات، كعلاقة الترادف، وعلاقة الاشتمال، وعلاقة الجزء بالكل، وعلاقة التضاد، وعلاقة التنافر[١٥٦].

ومن يجيل الطرف في هذا الجدول، سيجد المفردات المعبرة عن الظلم بكل ألوانه، والغدر الذي كان طبعاً للمستعمر الغاصب، وسيأسى مع الشعراء على تلك الفضاءات المليئة بالأرواح الشقية، والقلوب الجريحة، والأصوات الباكية، فضاءات يُتِّم فيها أطفال، ورُويت فيها مذابح، واستشهد فيها أبطال؛ من أجل ذلك، وجدنا

المعجم الشعري يفيض حديثاً عن الحرب وأدواتها، والقوة وشحذ الهمم؛ للخلاص من السجن والذل والهوان وظلام الكون.

فالآلام العربية أثرت في وجدان الشاعر السعودي، يضطرب لها قلبه، فيشارك أبناء العروبة البكاء على الظلم والغدر الذي واجهه العربي على أرضه وموطن آبائه وأجداده، فالشاعر أحمد الغزاوي، تحدث عن الهدنة التي خُدع بها العرب عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، مستنكراً البغي والظلم الذي حلَّ بالفلسطينيين، متألماً لمشاهد التشريد والإفناء، يقول من قصيدته (عاش البواسل وليفن التنابيل):

وأُعلنتْ هُدنةٌ أفضتْ إلى وَهَـنٍ وجاءَ في إثرِها بَـتْرٌ وتَـدويلُ

أتمَّ فيها عَدوُّ اللهِ عُدَّتَـهُ بالقاذفاتِ تُباريها الأَساطيلُ

وشَـنَّها غارةً شَتّى حبائلها غدرٌ ومكرٌ وتسويفٌ وتسويلُ

هناكَ فوقَ أديمِ الأرضِ يَصْبَغُهُ قاني النَّجيعِ تداعى القالُ والقيلُ

حتى تَكَشَّف سِرٌّ كان مُنْطوياً بكى الحطيمُ له واستَعْبَرَ النيـلُ

أقسْمَةٌ وهْيَ ضيزَى في حِمَى قُدُسٍ أَسرى به برسولِ اللهِ جبريلُ

يُشَـرَّدُ ابنُ مَعَدٍّ عن مواطنِهِ بَغْياً ويمرحُ يامينٌ وحزقيلُ

يا منطـقَ الجَورِ أَعْيَـتْنا مَذاهبُهُ أذلك العدلُ أم للنصِّ تأويلُ(١٥٧)

وكرر الشعراء الكلام على تآمر الدول الغربية على فلسطين السليبة، دون مراعاة للمبادئ والأعراف الدولية، يقول محمد العقيلي، متألماً من الظلم الذي حلّ بفلسطين:

تآمرتْ دولٌ في فَصْمِ عُرْوَتِها لم يَثْنِها العَدْلُ أو يَعْدِلْ بها الوَرَعُ

تآمُراً وصَمَ التاريخَ وانتَقَضَتْ به المـبادئُ والأعرافُ والشِّرَعُ

ثم يقول، واصفاً مدى الظلم الذي وقع:

أمرٌ من الجَورِ لم يُصْدِرْهُ في حَمَقٍ نَيرونُ في عَهدِه أو مثلِهِ يَقَعُ(١٥٨)

وقد أصبح الغدر، ونقض العهد سمة عرف بها الأعداء، يقول محمود عارف، مخاطباً العدو الذي استوطن الأرض، وروع الآمنين:

رَوَّعتمُ الأمنَ حتى عادَ مُفْتَقَداً في الشَّرقِ قد غاله بالغدرِ أحزانُ[١٥٩]

ويقول محمد إبراهيم جدع:

الغَدْرُ طَبعُهُمُ والخُبْثُ دِينُهُمُ والفَتْكُ مَطلَبُهُمْ والشَّرُّ هَزَّامُ[١٦٠]

وحين غاب الإنصاف؛ استمرأ العدو الغدر حتى طفح الكيل، دون أن يبرز له منصف أو معاتب، يقول حسين عرب:

طفح الكيلُ ولا مِنْ مُنْصفٍ وطَمَى السَّيْلُ ولا مِنْ مُعتِبِ
حِلْفُ مارُونَ وصهيونَ غَدا غَدْرَةَ الذئبِ ومَكْرَ الثعلَبِ[١٦١]

وحقل الموت متوافر في كثير من القصائد التي تتحدث عن بطش المستعمر، من ذلك قول عبدالله بن إدريس في قصيدته (محنة المغرب العربي)، مصوراً ما فعلته فرنسا في الجزائر:

تَرُومُ فَناءً للعُروبةِ طامِساً وكلِّ بني الإسلامِ في الوطَنِ الغَرْبي
وقد خَضَّبَتْ أرضَ الجزائرِ بالدِّما وسالتْ كما تَجري الشِّعابُ مِنَ السُّحْبِ
ودكَّتْ بنيرانِ المَدافِعِ مُدْنَها وكَفَّنَتِ السُّكّانَ مِنْ قَضَضِ التُّرْبِ
وأَيْتَمَتِ الأطفالَ جَوراً وأَرْمَلَتْ أُلُوفَ العَذارى دُونَ جُرمٍ ولا ذَنْبِ[١٦٢]

يحكي هذا النص ما جرى في أرض الجزائر من سعي لإفناء العروبة، بل وكل من ينتمي للإسلام؛ فالمشهد -كما يتضح في الأبيات- أرض مخضبة بدماء، سالت كما تجري الشعاب من السحب، ونيران المدافع تدك المدن حتى بات القضض كفناً لسكانها، وقد عم الظلم الأطفال الذين باتوا أيتاماً، وألوف النساء اللاتي أصبحن أرامل، دون جرم فعلنه، أو ذنب اقترفنه. ومن ألفاظ هذا الحقل المتوافرة في الأبيات: فناء، الدماء، كفنت، أيتمت، أرملت.

ويتحدث عبدالله سالم الحميد في قصيدته (عزف على أوتار الخطأ) عن أفعال العدو الذي اغتصب الأرض العربية، وعن ألوان الإبادة التي مارسها، ومدى ما اقترفه في الماضي، يصوغ النص، مردداً عبارة (في/عن طريق الخطأ)؛ متهكماً:

في طريق الخطأ ..
نصبوا لي مَـجْزَرَه
حولوها مَقْبـرَه
عن طريق الخطأ
شتتونا زُمَرا
أخرجونا في العَرَاء !
في طريق الخطأ
سفكوا الدَّمَّ البـُراء
قتلوا الأنبياء
جادلوا رغم الغباء
طعنوا في البقره
كل شرخٍ فوق أشلاء جراحاتي خطأ
لم يَعُدْ يصرعُني عنفُ النبأ
مزقوني في الطريقْ
أشعلوا جسمي حريقا
وصفوني أنني الوغْدُ الصفيقْ
أنني الإرهاب
والإرهابُ مني لا يُفِيقْ (١٦٣)

لقد حشد الشاعر في هذا النص ألفاظاً موحية بالقتل والتشريد بصورة تهكمية، محدثاً من خلالها المفارقة؛ فالأبرياء يبادون في أوطانهم، ولا يكتفي المعتدي بذلك، بل يسمهم بالإرهابيين، ويسوغ أفعاله بأنها قطعٌ لدابر الإرهاب!

وتأتي علاقة الاشتمال مؤكدة حجم الإبادة التي يمارسها العدو، يقول حسن القرشي في قصيدته (أشعلوها):

قتلوا أهلي

وأخوالي

وزوجي

ووليدي (١٦٤)

وكان الشعراء يُكبرون عمل المقاتلين، ويحفزونهم، ويذكرونهم بما لديهم من عناصر القوة، يقول سعد البواردي في قصيدته (اليوم أرفع رأسي) التي أعدها في السادس من أكتوبر ١٩٧٣م:

إني هنا اليوم قوه

بالله .. بالحق قوه

وبالتضامن قوه

وبالمدافع قوه

وبالقنابل قوة

وبالصواريخ قوه

وبالبنادق قوه

وبالخنادق قوه

بالنفط .. أرهب قوه (١٦٥)

الشاعر هنا، يبدأ مسلّماً بأن الإيمان بنصر الله لأهل الحق مصدر قوة، وأن تضامن العرب قوة، ولكنه لم يغفل عن أن المؤمن مأمور ببذل الأسباب؛ لذلك أشار إلى آلات الحرب القنابل، والصواريخ، والمدافع، والبنادق، مضيفاً إليها الخنادق والنفط.

وإذا كانت هذه الآلات تأتي ضمن علاقة التنافر، فإنه تنافر في محله هنا؛ فتطابق آلات الحرب، لا يجعل منها قوة كما لو كانت مختلفة، متعددة التأثير.

ويزخر المعجم الشعري بما يتصل بالحرب، فنجد الملحمة والبطولة والبطولات والمعارك والنضال وغيرها، يقول مقبل العيسى في قصيدته (ملحمة في العبور):

فالحربُ يومَ عُبورِ الشَّطِ مَلْحَمَةٌ من البُطولاتِ فاقتْ كُلَّ حُسْبانِ
بُطولةٌ في ثَرَى سَيناءَ ما بَرِحَتْ في خاطِرِ الدَّهْرِ أَعجازٌ لأَيْمانِ
ورايةُ المجدِ في الجَولانِ قد صَنَعَتْ للعُربِ مَجداً ودكَّتْ صَرحَ عُدوانِ
أَفدي البُطولاتِ مَنْ دكَّتْ سَواعِدُهُمْ حُصُونَ باغٍ وجادَتْ بالدَّمِ القاني(١٦٦)

ويقول محمد إبراهيم جدع في قصيدته (انتصار الجزائر):

حَيُّوا معي أهلَ الجزا ئرِ في المعارك والنضال(١٦٧)

وتحدث الشعراء عن آلات الحرب، وتعدد ألوانها، فالشاعر محمد السنوسي يحيي الجزائر في قصيدته (انتصار الحرية)، عارضاً صور التعذيب للأبرياء الذين يدافعون عن وطنهم، فيحشد من المفردات الجزلة ما يمثل أجواء القتال: الصراع الرهيب، التعذيب، الانتقام، العراك المرير، القصف، النسف، الملاحم الدموية، ثم يحشد في بيت واحد آلات الدمار التي اتخذها العدو للقضاء على الحرث والنسل:

الصِّراعُ الرَّهيبُ والسِّجنُ والتَّعْ ـذيبُ والانتقامُ والبَرْبَرِيَّهْ
والعِراكُ المَرِيرُ والقَصْفُ والنَّسْ فُ وتلك الملاحمُ الدَّمَوِيَّهْ
والصَّواريخُ والقنابلُ والـ ألغامُ والطائراتُ والمِدفَعِيَّه(١٦٨)

ألفاظ البيت الأخير توضح أنها من حقل دلالي واحد، هو حقل آلات الحرب، ولكن علاقة التنافر بينها توضح تنوع هذه الآلات، وبذلك تتعدد ألوان الضرر الحادث من كل آلة.

وجاءت علاقة التنافر مناسبة في خضم حماسة الشعراء وهم يشحذون همم الجزائريين ضد المستعمرين، يقول حسن مصطفى الصيرفي:

اِدْفَعِ المِدْفَعَ للقِمْ مَةِ أَلقِمْهُ الزُّؤامَا
ثَبِّتِ الحَرْبَةَ في البُنْ دُقِ واسْتَلَّ الحُساما

أَحرِقِ البارودَ وانْفُثْ ـهُ بُروقاً وغَماما
اِعزِفِ الأَنغامَ بالرشْ شَاشِ لحِّنْها دراما[١٦٩]

فآلات الحرب (المدفع، الحربة، البندق، الحسام، البارود، الرشاش)، ينطقها الشاعر ونفسه تعيش اللحظة مع الجندي في المعركة، يظافره، ويحثه على تنويع آلته.

وتوظيف آلات الحرب كثير في الشعر المصاحب للأحداث، وقد يكون الخطاب فيها للخصوم، يقول

حسين عرب:

فلْتسمعوا قَصْفَ المدا فعِ بالمَعاقِل ِوالحُصُونْ
ولْتنظُروا عَسْفَ القَنا بلِ في النَّهارِ المستبينْ [١٧٠]

وفي ظل الأحداث المتوالية التي واجهتها بلادنا العربية، والمآسي التي عاشتها؛ تكدرت عواطف الشعراء، وتفشى اللونان الأسود والأبيض في قصائدهم، فاللغة توحي بأنهم يعيشون في فضاء مظلم، يتطلعون فيه إلى صبح يجلوه. ومجيء السواد مباشراً (الأسود، الأسمر) أقل من مجيئه غير مباشر (الظلام، الليل).

كان الشعراء يتطلعون إلى صباح يشرق، فيمحو ظلمة الفضاء؛ من أجل ذلك، جاء تضاد اللونين كثيراً، يقول خالد الخنين في قصيدته (أصابع الشيطان) التي تحدث فيها عن العنصرية التي يمارسها الغرب في تناولهم القضايا العربية:

مادامَ ليلٌ للنهايةِ يا أَخي لابُدَّ من صُبْحٍ بذاتِ نَهارِ
لِيُعيدَ للأرضِ الأَبيَّةِ رايةً خَفَقَتْ بتيهٍ رائعِ الأكبارِ[١٧١]

وظل الأمل مصاحباً الشعراء، رامزين له بالفجر، يقول عبدالرحمن العشماوي:

أيُّها الأَقْصَى سَيَطْوِي فَجْرُنا ليلَ هذا الباطلِ المُنْتَشِرْ[١٧٢]

وطي الليل / السواد أمل مرتقب، ينتظره الشعراء، يقول غازي القصيبي:

القدسُ رجاءْ

يطوي ليل الإرهاب إلى

ليل الإسراءْ

...

فغداً ينفد صبر البركانْ

ويعود العاشر من رمضانْ

ويثور نفيرْ

ويضج المسجد بالتكبيرْ

وتضيء منارته البيضاءْ (١٧٣)

ويأتي الأسود / الدجى مع الأبيض / الفجر حتى والشاعر يتحدث عن الموت، يقول غازي القصيبي في قصيدته (مات فدائي):

كانَ الدُّجَى يصنعُ أحلامَهُ بالفجرِ لمّا أزَّتِ الطلْقتانْ

واستقبلتْكَ الأرضُ مُشْتاقةً بضَمَّةٍ يَقْطُرُ منها الحنانْ(١٧٤)

وقد وظف الشعراء الحيوان والطير في سبيل المدح والهجاء، فالأبطال الذين قاوموا المعتدي على الأرض العربية شُبهوا بالأسود، والليوث، والأشبال، والذئاب، والصقور، والنسور، كما شُبه الأعداء بالكلاب، والقرود، والجنادب، والزرازير، والسنانير، والفئران، وغير ذلك.

فإذا تحدثوا عن البطولات وبث الحماسة في الصفوف، وصفوا المقاتلين العرب بالأسود، وأصواتهم بالزئير، يقول محمود عارف في قصيدته (السلام على النعش):

انفِرُوا جَمْعاً خِفافاً للعُلا واملَؤوا الدُّنيا زَئيراً وصياحْ

أنتمُ الأبطالُ أُسْدٌ في الوَغَى فاكتبوا التاريخَ بالدمِّ المباحْ(١٧٥)

ويقول في موضع آخر:

نحنُ آسادُ يا فلسطينُ نَبْغِي عَودةَ الحَقِّ رُغْمَ كُلِّ قرارِ

نحنُ قومٌ نهوَى الفِداءَ ونَمْشِي للـوغـى كالأُسُـودِ بالتَّـزْآرِ[١٧٦]

ويصف محمد السنوسي في قصيدته (بطولة الجزائر) إقدام الجزائريين ومواجهتهم للاستعمار الفرنسي، فلا يخرج عن التشبيه المتوارث لدى الشاعر العربي، شأنه في ذلك كأغلب شعراء جيله:

وهَبَّ الحمَى أشبالُهُ ولُيوثُهُ غِضاباً وثارتْ لَبوةٌ وعُقابُ[١٧٧]

ثم ينكر أن يجثم الاستعمار في الأرض العربية وهي مأوى الأسود:

أيُستعمَرُ الشَّرقيُّ والشَّرقُ كُلُّهُ عَرينٌ يُدَوِّي بالأُسودِ وغابُ[١٧٨]

وقد أخذ الأسد بأسمائه المختلفة النصيب الأكبر من تشبيهات الشعراء، يقول عبدالله بن إدريس في قصيدته (ثورة عُمان)، متحدثاً عن الأبطال المتصدين للاستعمار الإنجليزي:

هيَزأرةُ الآسادِ في آجامِـها ثارتْ تَصُدُّ ضَـراوةَ العُـدوانِ

هيَ ثورةُ الأحرارِ تُنْذرُ بالفَنَا مُسْتَعْبدي الإنسان في الأوطانِ[١٧٩]

وفي قصيدة (النكبة)، يقول حسين عرب:

يَمْـنَعُ اللَّيـثُ حِـمَاهُ أن يَـرى فيه كلباً عادياً إنْ زَأَرا[١٨٠]

فالأبطال وهم يدافعون عن أرضهم ليوث، والمعتدون كالكلاب التي لا تستطيع العدو على الأرض حين تسمع زئير الليوث.

ويقول الشاعر في موضع آخر من هذه القصيدة:

تَـنعقُ الغربانُ في أَرباضنا ثم تَكسُوها سَواداً قَـتَرا[١٨١]

وفي سياق التحذير من الاستكانة وعدم الحذر من غدر الأعداء، يقول حسين فطاني:

فاعرِفْ عَدُوَّكَ في جميعِ ثيابِهِ مَهْما استَكانَ فكُنْ عليهِ حَقُودا

فالحَيَّةُ الرَّقْطاءُ تَدْخُلُ جُحْرَها حيناً وتَخْلَعُ ثَوْبَها لِتَعُودا[١٨٢]

وظل الشعراء يوظفون الحيوانات في وصم المعتدي بأبشع الصفات، يقول عبدالله الرشيد:

يا بُؤسَ للأُمَّةِ الغَرَّاءِ يَكبتُها نَسْلُ القُرُودِ وتَتْساها المَيادِينُ[١٨٣]

يأتي ذلك في سياق اللوم لأبناء الأمة العربية المتكاسلين عن الوقوف في وجه المعتدي الذي عاث في الأرض فساداً، ومن ذلك قول محمد المشعان:

صـاحَ في الأَقْـصَى غُـرابُ البَـيْنِ تيْهـاً حينَ تاهَتْ عن حِمَى الأَقْصى صُقُورُ[١٨٤]

وفي سياق الافتخار بالأمة العربية والاحتقار لأعدائها الذين لا يستطيعون الوقوف أمام الأباة الصناديد من أبطال العروبة؛ شبههم الشعراء بطيور الماء والجنادب والزرازير الزاحفة، وغير ذلك من أوصاف الاستهجان، يقول محمد السنوسي:

العالَمُ العَرَبيُّ طالَ جَـناحُهُ فَقِفِيْ مَكانَكِ ياطُيُورَ الماءِ[١٨٥]

فالشطر الأول كناية عن سمو العالم العربي وتحليقه، والشطر الثاني كناية عن ضعف الأعداء وعدم قدرتهم.

وردد الشعراء الافتخار بأبطال العروبة والتهوين من شأن الأعداء، من خلال هذه التشبيهات التي توحي باحتقارهم، يقول محمود عارف في هذا السياق:

إنَّـا خُلِقْـنا أُبـاةً لا نَخـافُ أَذَى وَخْزِ الجَنادِبِ أو زَحْفِ الزَّرازِيْرِ[١٨٦]

وجاء الصوت -كما مر- معبراً عن السياقات التي ضُمّن فيها؛ ففي مديح الأبطال الذين كانوا يواجهون المعتدين، تردد زئير الأسد وعواء الذئب، وفي حالات هجاء الأعداء وتناول الأذى الذي ألحقوه بالأرض العربية، حضرت الإيحاءات المختلفة التي عرفها العربي عن بعض الحيوانات والطيور، وأكثرها صوت الغراب. ونعيق الغربان في البيئة العربية، يؤذن بالفرقة ويوحي بالخراب.

وما أصاب الأرض العربية من أذى المعتدي الذي عبر عنه الشعراء في المبحثين السابقين، أفرز آهات، وأنات، وبكاء، وصراخ، وعويل، يقول حسين فطاني:

نِسَاءُ يَعْرُبَ صاحَتْ تَسْتَحِثُّكُمُ إنْ ماتَ مُعْتَصِمٌ هَلَّا تُجِيْبُونا[١٨٧]

ويقول عبدالرحمن العشماوي في قصيدته (نكهة الموت) على لسان الفلسطيني الجالس جوار جثتي أمه وأخيه، الذي لم يكن يطلب إلا الخروج من تلك الوحشة القاتلة، ودفنهما في قبرين صغيرين :

يا كِرامَ الناسِ في الأرضِ أَجيبوا صَرخَتي لا تَخْذُلُوني ياكِرامُ(١٨٨)

وردد الشعراء ألفاظ الصياح والصراخ المعبرة عن الآلام وحالات الاستنجاد، يقول حسن القرشي في قصيدته (صرخة الثأر):

أَغْـدُو أَرُوحُ كـأَنَّني شَبَحٌ على ظِـلِّ المَغِيْـبِ
وتَصِيْحُ آلامـي ويَصْـرُخُ في دَمِي صوتُ النَّحِيْبِ(١٨٩)

وفي سياقات الكلام على البطولة، وبث الحماسة في المدافعين عن الأرض، نجد شيوع الأصوات الموحية بجو المعركة، من ذلك قول حسين عرب:

فلْتَسْمَعُوا قَصْـفَ المَـدا فِـعِ بالمَعاقِـلِ والحُصُـونْ
ولْتَنْظُروا عَسْـفَ القَنَـا بِلِ في النَّهـارِ المُسْتَبِينْ(١٩٠)

ويصف محمد العقيلي في قصيدته (ملحمة فلسطين) الهجوم العربي، قائلاً:

وصـبَّحَتْهُمْ نُـسُورُ الجَـوِّ حائمـةً في غارَةٍ عن رُجُومِ الشُّهْبِ تَنْصَدِعُ
في عـارِضٍ زَجِـلِ الأَصْـواتِ تُمْطِـرُهُمْ صَواعِقاً من تَلظِّي وَهْجِها قُرِعُوا(١٩١)

قد يكون في هذه الأمثلة من المعجم الشعري ما يكشف عن الأفكار التي كانت تشغل أذهان الشعراء في المملكة العربية السعودية، إبان الأحداث التي عاشتها بلادنا العربية. ومن يتأمل المبحثين السابقين؛ سيجد ما يؤكد ما ألمح إليه هذا المبحث، وقد يكون فيهما ما يغني عن الإطالة بمزيد من الأمثلة.

الحواشـي:

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، تهامة للنشر، جدة، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٥١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٢٣.

(٣) أول الغيث، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٢٦،٢٧. و(يو إنْ) في صدر البيت الثاني (U.N: الحرفان الأولان من كلمتي UNITED NATIONS/ الأمم المتحدة)، والبيت إشارة إلى مبناها في مدينة نيويورك. (ذكر ذلك الشاعر في الحاشية ٤ من ص٣١).

(٤) نزيف الشهداء، (د.ن.)، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٩٥-٩٧.

(٥) ديوان حسن عبدالله القرشي، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج٢، ص٦٦٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٦٦، ٦٦٧.

(٧) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، د.عبدالله الحامد، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٨) المجموعة الأولى، (د.ن.)، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٨٤.

(٩) يا قبلة المجد، (د.ن.)، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٤٦.

(١٠) الأعمال الشعرية الكاملة، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م،ج٢، ٤٩.

(١١) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، (د.ن.)، ط١، (د.ت.)، ج١، ص١٧٩.

(١٢) القدس أنت، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٦٣، ٦٤.

(١٣) المصدر نفسه، ص٦٦.

(١٤) ديوان ضياء الدين رجب، (د.ن.)، ط١، (د.ت.)، ص٨٣.

(١٥) نزيف الشهداء، ص١٦٨، ١٦٩.

(١٦) انظر: يا قبلة المجد، حسين فطاني، ص١٢٤؛ ترانيم الليل، محمود عارف، ج١، ص٢٥٤، ٥٩١، ٥٩٦، ٧٠٠، ج٢، ص ٨٢، ١٢٠، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١؛ غربة الروح، مقبل العيسى، ص ١٢٤، ١٤٦، ١٥٤؛ نزيف الشهداء، زاهر الألمعي، ص ٢٣، ٢٩، ٧٧، ٧٩، ١٥٩، ١٦٧؛ عودة الغائب، عبدالله العثيمين، ص٥٢؛ المداد، إبراهيم العواجي، ص٨٨، ٣٣١؛ المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ص٥٠٩، ٧٢٣؛ المجموعة الأولى، أحمد الصالح، ص١٩٩، ٢٨٣، ٢٨٤؛ وشم على جدار

القلب، خليل الفزيع، ص٢١؛ عندما يئن العفاف، عبدالرحمن العشماوي، ص٣٧، ٤٢، ٩٢، ١١٩؛ شموخ في زمن الانكسار، عبدالرحمن العشماوي، ص١٢؛ القدس أنت، عبدالرحمن العشماوي، ص٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٧٨؛ حروف من لغة الشمس، عبدالله الرشيد، ص٢٤، ٢٥، ٢٦؛ صدى الأشجان، حسن الزهراني، ص ٥٨، ٥٩؛ عزف على أوتار مهترئة، حسن الصلهبي، ص٨٦.

(١٧) القدس أنت، ص١٤٨.

(١٨) المصدر نفسه، ص١٥١.

(١٩) رحلة العمر، علي بن حسين الفيفي، نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٣٩٧هـ، ص٦.

(٢٠) نزيف الشهداء، ص٦٦، ٦٧.

(٢١) ترانيم الليل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢٢) على ربى اليمامة، (د.ن.)، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص٧٧.

(٢٣) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٥٨٣.

(٢٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠٤.

(٢٥) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، نادي جازان الأدبي، جازان، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٩٤، ٤٩٥.

(٢٦) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ص٢٢١، ٢٢٤.

(٢٧) الأعمال الشعرية الكاملة، ج٢، ص٥١.

(٢٨) المصدر نفسه، ج٢،ص٥٣. والشاعر من المجددين في الأوزان؛ فهو في هذا النص، زاد تفعيلة في الهزج.

(٢٩) حديث قلب، (د.ن.)، ط١، ١٣٩٣هـ، ص٢٥، ٢٦.

(٣٠) المجموعة الأولى، ص٢٨٠.

(٣١) إبحار بلا ماء، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٤٦.

(٣٢) وشم على جدار القلب، خليل إبراهيم الفزيع، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٤.

(٣٣) يا أمة الحق، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٦٣، ٦٤.

(٣٤) شموخ في زمن الانكسار، عبدالرحمن صالح العشماوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٧. وقد أهدى الشاعر هذا الديوان " إلى الطفل الفلسطيني الذي يعزف بالحجارة أوتار العزة ... ".

(٣٥) الوطن ولاء وانتماء، نادي جازان الأدبي، جازان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٠٦.

(٣٦) نزيف الشهداء، ص٥٩.

(٣٧) يا أمة الحق، ص٦٥، ٦٦، ٦٧.

(٣٨) القدس أنت، ص١١٧.

(٣٩) نزيف الشهداء، ص٨٦.

(٤٠) انتفاضة القصائد، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٨.

(٤١) رجع، منصور محمد دماس مذكور، نادي جازان الأدبي، جازان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢١٣.

(٤٢) انظر: صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، د. محمود إسماعيل عمار، نادي أبها الأدبي، أبها، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٥٢-١٥٦.

(٤٣) أغاريد من واحة النخيل، (د.ن.)، ط١، ١٤٠٦هـ، ص٦٤.

(٤٤) نزيف الشهداء، ص١١٦.

(٤٥) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ١٧٢.

(٤٦) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣٢٣.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٥١٧.

(٤٨) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ص١٨٢.

(٤٩) نزيف الشهداء، ٨٦.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٣٨.

(٥١) المصدر نفسه، ٢٣.

(٥٢) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٥٠٧.

(٥٣) انتفاضة القصائد، ص١٥.

(٥٤) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص٤٨٨، ٤٨٩.

(٥٥) رجع، ص٢٠٨.

(٥٦) في زورقي، ص٩١، ٩٢.

(٥٧) مجموعة النيل، تهامة للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٠٥.

(٥٨) يقع حي صبرا ومخيم شاتيلا في منطقة سكنية شعبية في مدينة بيروت، وسكانه في معظمهم من الفلسطينيين الذين اضطروا إلى اللجوء إلى لبنان بعد حرب ١٩٤٨م. وكانت مجزرة صبرا وشاتيلا إحدى أبشع المجازر همجية في القرن العشرين، دامت ثلاثاً وأربعين ساعة، بين السادس عشر والثامن عشر من أيلول / سبتمبر ١٩٨٢م. خطط لها وزير الدفاع الإسرائيلي أريئيل شارون ورئيس هيئة الأركان العامة الجنرال رفائيل(رفول) إتيان، وقام بتنفيذها ميليشيات القوات اللبنانية وغيرها من المليشيات والعناصر المؤازرة لها. (انظر: صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢، بيان نويهض الحوت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، المقدمة، ص١-٤).

(٥٩) دوائر للحزن والفرح، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٧٤، ٧٥.

(٦٠) ترانيم الليل، ج٢، ص٤٢٤.

(٦١) معاناة شاعر، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٧.

(٦٢) ما حصل في صبرا وشاتيلا أمر شاذ، لا يمكن أن ينفي ذلك التلاحم بين أبناء العروبة (انظر الحاشية ٥٨).

(٦٣) الموسوعة الذهبية، د. إبراهيم عبده وآخرون، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ج٣، ص٢٩٥.

(٦٤) يا قبلة المجد، ص٢٩٥.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٦٦) لوحات منظومة، دار المعراج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٥٠.

(٦٧) في زورقي، ص٥٠.

(٦٨) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص١٥١.

(٦٩) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ص١٦٣.

(٧٠) لوحات منظومة، ص٥٠.

(٧١) الموسوعة الذهبية، ج٣، ص٢٩٥.

(٧٢) يا قبلة المجد، ص٢٩٩.

(٧٣) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص١٥٥، ١٥٦.

(٧٤) في زورقي، ص٥١، ٥٢.

(٧٥) شعاع الأمل، (د.ن.)، ط١، ١٣٧٨هـ، ص٧٠.

(٧٦) أغنيات لبلادي، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٠١هـ، ص٨٨.

(٧٧) المصدر نفسه، ص٩٨.

(٧٨) سمي باسم صاحب فكرة إنشائه الجنرال بارليف(رئيس الأركان) اليهودي. وهو الخط المحصّن الذي أجمعت آراء الخبراء والعلماء العسكريين على أنه خط دفاعي كامل التحصين، جعلت منه قناة السويس حالة فريدة في التاريخ العسكري.(انظر: مذكرات الجمسي (حرب أكتوبر ١٩٧٣)، المشير محمد عبدالغني الجمسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٣١، ٣٣٢).

(٧٩) يقول المشير محمد عبدالغني الجمسي(رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة في أثناء حرب أكتوبر١٩٧٣م): " كان يوم السبت (عيد الغفران) ٦أكتوبر ١٩٧٣/ رمضان ١٣٩٣ هو أحد الأيام المناسبة ... فقد توفرت فيه الشروط الملائمة لاقتحام القناة والهجوم؛ فهو يوم عيد إسرائيل، والقمر في هذا اليوم (١٠رمضان) مناسب ومضيء، من غروب الشمس حتى منتصف الليل". (المرجع السابق، ص ٢٦٨).

(٨٠) المجموعة الأولى، ص٤٨، ٤٩.

(٨١) عودة الغائب، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٩، ٥٠.

(٨٢) الهروب من حاضر، (د.ن.)، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٢٠٣.

(٨٣) عودة الغائب، ص٤٠.

(٨٤) في زورقي، ص٤٣.

(٨٥) ترانيم الليل، ج١، ص٢٧.

(٨٦) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص١٩٢، ١٩٣.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ٣٣١، ٣٣٢.

(٨٨) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، د. مسعد العطوي، (د.ن.)، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ق٢، ج٢، ص١٥٢٤.

(٨٩) ترانيم الليل، ج١، ص٢٦.

(٩٠) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص١٨٩، ١٩٠.

(٩١) أغنية العودة، دار الإشعاع، بيروت، ط١، (د.ت.)، ص٤٤.

(٩٢) الروض الملتهب، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٠.

(٩٣) انظر الحديث عن يوم الجزائر في المملكة العربية السعودية في: مجلة المنهل، مج١٨، ج٧، رجب ١٣٧٧هـ/يناير ١٩٥٨م.

(٩٤) المجموعة الشعرية الكاملة لأشعار العقيلي، شركة العقيلي، جازان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٣٦٥. وقد أشير تحت عنوان القصيد إلى أنها ألقيت في حفل يوم الجزائر في ١٥/٨/ ١٣٧٧هـ.

(٩٥) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص١٩٥.

(٩٦) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، ق٢، ج٢، ص١٤٢٢.

(٩٧) أغنية العودة، ص٤٥.

(٩٨) ترانيم الليل، ج١، ص٢٥.

(٩٩) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨.

(١٠٠) قيل فيها شعر كثير، قامت عليه دراسات، من أهمها رسالة الماجستير المعنونة بـ (جميلة بو حيرد: الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر)، للباحثة فطيمة بوقاسة في كلية الآداب واللغات / جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

(١٠١) الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عزالدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، (د.ت.)، ص٢١٧، ٢١٨.

(١٠٢) ترانيم الليل، ج١، ص٣٠، ٣٢، ٣٣.

(١٠٣) الأوزان الباكية، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص١٥.

(١٠٤) مجموعة النيل، ص٣٦١، ٣٦٢.

(١٠٥) ذرات في الأفق، دار الإشعاع، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٤٥.

(١٠٦) ترانيم الليل، ج١، ص٣٠.

(١٠٧) مجموعة النيل، ص٣٦١.

(١٠٨) الروض الملتهب، ص٥٠، ٥١.

(١٠٩) انظر الحديث عن جميلة بوحيرد والإهداء إليها في: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، ق٢،ج٢، ١٤٢٤؛ أغنية العودة، ص١٨؛ الخروج من بوابة الفل، أحمد الحربي، نادي جازان الأدبي، جازان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٦؛ عواطف، يوسف السيف، (د.ن.)، ط١، ١٤١٦هـ، ص١٨٠.

(١١٠) جريمة العصر، إعداد: إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني، الرياض، منشورات وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٥.

(١١١) عندما تلتهب القوافي، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص١٨١.

(١١٢) المصدر نفسه، ص٣٧.

(١١٣) صدى الأشجان، النادي الأدبي بمنطقة الباحة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٣٩، ١٤٠.

(١١٤) عندما تلتهب القوافي، ص١٥٧، ١٥٨.

(١١٥) مرثية فارس سابق، تهامة للنشر، جدة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١١، ١٢.

(١١٦) عندما تلتهب القوافي، ص١٤٤.

(١١٧) خطاب لوجه الآخر، (د.ن.)، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٥٩.

(١١٨) المصدر نفسه، ص٦١.

(١١٩) عندما تلتهب القوافي، ص١١٣.

(١٢٠) قصائد ملتهبة، (د.ن.)، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٦.

(١٢١) لعيني لؤلؤة الخليج، نادي جازان الأدبي، جازان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٨٩.

(١٢٢) عندما تلتهب القوافي، ص١٣٠.

(١٢٣) ترانيم الليل، ج١، ص٢٥٥.

(١٢٤) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٦٢٧.

(١٢٥) مطلع الفجر، (د.ن.)، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٣٢.

(١٢٦) أغنيات لبلادي، ص٧١.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص٧٥.

(١٢٨) من رباعياتي، دار الرفاعي، الرياض (السلسلة الشعرية)، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ٧١.

(١٢٩) شظايا العمر، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١١٧.

(١٣٠) المجموعة الشعرية الكاملة، ص٣٤٠.

(١٣١) ترانيم الليل، ج١، ص٦٣٢.

(١٣٢) الأعمال الشعرية الكاملة، ج٢، ص٧٨.

(١٣٣) أول الغيث، ص٩٦.

(١٣٤) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع، ص٢٨.

(١٣٥) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، ق٢، ج١، ص٥٩٦.

(١٣٦) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٥١٠.

(١٣٧) ديوان العواد، (د.ن.)، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص١٨.

(١٣٨) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع، ص٢٧.

(١٣٩) فيض الأحاسيس، دار ثقيف، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٦٢.

(١٤٠) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٤٨٤.

(١٤١) حروف من لغة الشمس، دار المعراج الدولية، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٥، ٢٦.

(١٤٢) شظايا العمر، ص١٤١.

(١٤٣) عندما تلتهب القوافي، ص١١٩.

(١٤٤) ترانيم الليل، ج١، ص٦٩٢.

(١٤٥) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع، ص٥١٠.

(١٤٦) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص٨٤، ٨٥.

(١٤٧) في زورقي، ص٤١.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص٤١، ٤٢.

(١٤٩) الأعمال الشعرية الكاملة، ج٢، ص٢٦.

(١٥٠) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٥٩٧.

(١٥١) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

(١٥٢) الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب، د. عبدالكريم حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٠.

(١٥٣) انظر: المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق، د. عبدالكريم حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص٩٠، ٩١.

(١٥٤) المرجع نفسه، ص٩١.

(١٥٥) الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبدالحميد عبدالواحد، قرطاج للنشر، صفاقس، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٦، ١٧.

(١٥٦) لم أتناول الحقول الدلالية من خلال العلاقات؛ لأنها لا تحقق الهدف الذي تسعى إليه هذه الدراسة.

(١٥٧) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، ق٢، ج١، ص١٢٠٠، ١٢٠١.

(١٥٨) المجموعة الشعرية الكاملة لأشعار العقيلي، ص٧٠.

(١٥٩) ترانيم الليل، ج١، ص٧٠١.

(١٦٠) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع، ص٥١٧.

(١٦١) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ص ٢٦٧.

(١٦٢) في زورقي، ص٤٣.

(١٦٣) انتفاضة القصائد، ص١٥، ١٦.

(١٦٤) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٢٦٨.

(١٦٥) أغنيات لبلادي، ص٨٨، ٨٩.

(١٦٦) الهروب من حاضر، ص٢٠٣.

(١٦٧) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر محمد إبراهيم جدع، ص٧٧١.

(١٦٨) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص٣٣٣.

(١٦٩) دموع وكبرياء، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة، ط٢، ص٧٠.

(١٧٠) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ص١٧١.

(١٧١) شظايا العمر، ص ١٤٩.

(١٧٢) القدس أنت، ص٨٥.

(١٧٣) المجموعة الشعرية الكاملة، ص٥٤٧، ٥٤٨.

(١٧٤) المصدر نفسه، ص٣٦٧.

(١٧٥) ترانيم الليل، ج١، ص٥٤٣.

(١٧٦) المصدر نفسه، ج١، ص٦٥٨.

(١٧٧) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص١٨٨.

(١٧٨) المصدر نفسه، ص١٩٠.

(١٧٩) في زورقي، ص٥٧.

(١٨٠) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١، ص٢٠٢.

(١٨١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٣.

(١٨٢) يا قبلة المجد، ص٣٠٢.

(١٨٣) حروف من لغة الشمس، ص٢٣.

(١٨٤) نشوة الحزن، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص١٧٠.

(١٨٥) الأعمال الكاملة للشاعر محمد بن علي السنوسي، ص٨٣.

(١٨٦) ترانيم الليل، ج١، ص٦٤٠.

(١٨٧) يا قبلة المجد، ص١٢٥.

(١٨٨) القدس أنت، ص٢١١. وانظر مقدمة القصيدة، ص٢٠٦.

(١٨٩) ديوان حسن عبدالله القرشي، ج٢، ص٥٩٠، ٥٩١.

(١٩٠) المجموعة الكاملة (ديوان حسين عرب)، ج١،ص١٧١.

(١٩١) المجموعة الشعرية الكاملة لأشعار العقيلي، ص٨٢.

* * *